الفصل الرابع

الجماعة المسلمة

● مفهوم الجماعة :

« الجماعة » ـ من وجهة نظر علم الاجتماع ـ هى الأداة التى يستخدمها المجتمع فى تنشئة او تطبيع افراده . وتعرف الجماعة بأنها « شخصان او اكثر يشتركان فى المعايير والمبادىء والقيم النابعة منهم ، ويكون لكل منهم دور حيال الآخرين من أجل الوصول الى هدف معين ، يؤدى الى اشباع حاجاتهم الاجتماعية . ويكون وجودهم معا خاضعا لقواعد اجتماعية معينة ومحددة بصورة تسمح بأن يتوقع كل من افرادها سلوك الآخر توقعا واضحا بدرجة ما من الدقة » . ومن هذا التعريف ينبغى أن يتوافر فى الجماعة العناصر التالية (١) :

١ ـ ان يخضع تكوين الجماعة لقواعد اجتماعية معينة : مثل عقود الزواج وما يتصل بها من عادات وتقاليد ، او قواعد توزيع التلاميذ فى الفصول الدراسية ، او قواعد تكوين الفرق الرياضية ، او قواعد توزيع العاملين فى الهيئات الحكومية والمؤسسات العامة .. فهذه القواعد تحدد حقوق وواجبات كل طرف من أطراف الجماعة حيال الآخر .

٢ ـ ان يتوافر شرط التفاعل الاجتماعى المباشر (Face to Face Interaction) : وقد يكون هذا التفاعل اتصالا او تنافسا او صراعا او تعاونا او تكيفا او تنشئة اجتماعية .

٣ ـ ان يكون لكل من افراد الجماعة دور محدد : فالأب فى جماعة الأسرة له دور واضح باعتباره راعيا لتلك الأسرة ، والأم لها دور واضح

---

(١) زيدان عبد الباقى ، **مرجع سابق** . ص ٧٨ ـ ٨٠ .

باعتبارها شريكة الزوج فى رعاية الأسرة ، والأبناء لهم دور ايضا وهو تلقى اسس التربية والتنشئة فى الأسرة وأسس التعليم فى المدرسة او المعهد التعليمى بصورة تعتمد على الطاعة والمواظبة والتحصيل من أجل النجاح والوصول الى درجة معينة من النضج الاجتماعى المطلوب للمواطن الصالح · وكذلك المشرف أو رئيس العمل له دور واضح هو وضع كل فرد فى العمل الذى يناسبه وتوزيع الأعمال على العاملين ومراقبة قيام كل منهم بدوره او واجبه ، وكل عامل له دور هو القيام بما يسند اليه من اعمال ، وهكذا ·

٤ ـ **شرط الهدف** : فكل جماعة ينبغى ان يكون لها هدف تسعى الى تحقيقه ، مثل جماعة العمل التى يكون هدفها الانتاج وتحقيق الكفاية الانتاجية · ومثل جماعة الأسرة ، فهى « سكن » لكلا الزوجين ، يتحقق فيها البقاء واستمرار النوع ، وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعى ، واشباع الدوافع العاطفية والجنسية ، والانفعالات الاجتماعية مثل عواطف الأبوة والأمومة والأخوة وما الى ذلك · فالأسرة هى الوسط الذى اصطلح عليه المجتمع لاشباع حاجات الانسان ودوافعه البيولوجية والاجتماعية ·

٥ ـ **شرط التوقع** : وهذا التوقع يستند الى حقوق اعضاء الجماعة وواجباتهم التى تحددها قواعد تكوينها ·· فالزوجة التى لا تقوم بواجباتها المنزلية فى حينها تتوقع من زوجها المؤاخذة أو التأنيب او العقاب · والعامل الذى يهمل فى اداء واجباته يتوقع من رئيسه اللوم أو العقاب الادارى ·· ومن هنا فان « التوقع » فى السلوك بين اعضاء اى جماعة هو احد شروط وجود هذه الجماعة ·

وترتيبا على ذلك ، فان الانسان كائن اجتماعى لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين فى المجتمع ، وانما من الضرورى ان ينتمى الى جماعة ، بل الى جماعات مختلفة ، حتى يستطيع اشباع حاجاته النفسية والاجتماعية · والجماعة لا تقوم باشباع حاجات الفرد وتحقيق رغباته دون قيد او شرط ، وانما هى تضع له القواعد والأسس التى يتم فى نطاقها اشباع دوافعه وتحقيق رغباته · ومن ثم ، فان على الفرد ـ اذا ما اراد ان يشبع حاجاته

ودوافعه ـ ان يقوم بعـدة عمليات للتكيف الاجتماعى مع الأوضاع السائدة فى الجماعة • ومن هنا ينعكس تأثير الجماعة على شخصيته ، أو بمعنى آخر تبدأ الجماعة ـ متمثلة فى الأسرة ـ منذ لحظة مولده فى تشكيل طبائعه ، حتى تتخذ كل منها السمة المعينة التى تميزه عن غيره • فالجماعة تساعـد الفرد ـ منـذ لحظة وصوله الى العالم الواقعى ـ على تحويل قدراته وامكاناته الفطرية الى استعدادات ومهارات حتى يصبح لـه شخصية خاصـة تتميز بخصائص اجتماعية ونفسية وعقلية وبدنية • غير ان هذا الفـرد عندما يصل الى درجة من النضج الاجتماعى وتتوافر لديه القدرات العقليـة العليا ، قد يعمل على التأثير فى المجتمع بصورة ما ، مثـل كثير من القادة والزعماء والعلمـاء •

* * *

خصـائص الجمـاعة

تتميز كل جماعة اجتماعية بمجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها من الجماعات ، ونوجز هذه الخصائص فيما يأتى(٢) :

١ ـ يشعر اعضاء الجماعة بوحدتهم وتشابههم ، وبتميزهم عن اعضاء الجماعات الأخرى •

٢ ـ كل جماعة لا بد ان يكون لديها مركز اهتمام خاص ، ويختلف هذا الاهتمام باختلاف طبيعة الجماعة •• فقد تهتم الجماعة بتحقيق هـدف علمى او اجتماعى معين مثلا •

٣ ـ لا بد أن تكون الجماعة منظمة ، فهناك بناء داخلى يحدد المراكز والأدوار ووسائل الاتصال ومواضع السلطات •

* * *

---

(٢) سـناء الخولى ، **مدخل الى علم الاجتماع** • الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٨ ، ص ١٥٥ •

● **تصنيف الجماعة :**

تصنف الجماعات الى الآتى(٣) :

١ ـ جماعة داخلة / أولية / تلقائية :

(In Group , Primary, Spontaneous)

حيث يتطلب الأمر ان ينتمى اليها الشخص تلقائيا ، ويدين لها بالولاء ، ويعمل متعاونا مع افرادها ، وتكون العلاقات فيها وجها لوجه بحيث يتاثر الأفراد فيها بعضهم بالبعض الآخر تاثرا شخصيا ، وينتمى اليها الفرد بصورة تلقائية بحكم مولده او نشأته . وخير مثال لذلك « الأسرة » ، وابناء القرية او الحى الذى يولد فيه الفرد والطبقة التى ينتمى اليها .

وتعرف الجماعة الأولية بأنها تلك التى يتصل فيها الناس اتصالا قويا مباشرا . وتسمى أمثال هذه الجماعات بالجماعة الأولية / **الأساسية** ، لأنها تشتمل على المؤثرات الجوهرية الأساسية التى تقوم عليها الحياة الاجتماعية للفرد . ويؤدى الاتصال المباشر الى اندماج الفرد فى الكل العام الذى ينتظم تلك الجماعة ، وتصبح ذات الفرد نفسها جزءا قويا فى الحياة العامة المشتركة لهذه الجماعة ، والتى تساير اغراضه واهدافه .

ودراسة اثر الجماعة الأولية فى السلوك الاجتماعى تؤدى بنا الى فهم سلوك الفرد فى الجماعات الكبرى المعقدة المتشابكة التى يدين افرادها بمختلف الألوان المتباينة من الثقافات المتعددة . فالأسس الأولى لهذا السلوك تتكون وتتشكل داخل الجماعات الأولية وتسرى منها الى الجماعات الثانوية ، على اعتبار أن استجابة الطفل لسلطة الوالدين او احدهما تفسر لنا ـ او للباحث الاجتماعى او النفسى ـ الأسس النفسية والاجتماعية لاستجابة الانسان للقانون او لأولياء الأمور .

---

(٣) زيدان عبد الباقى ، **مرجع سابق** . ص ٨٢ ـ ٨٣ .

٢ ـ جماعة خارجة / ثانوية / طوعية :

(Out - Group, Secondary , Voluntary)

وهى الجماعة التى لا يكون التأثير بين أفرادها وجها لوجه ، ويكون انتماء الفرد اليها معتمدا ـ الى حد كبير ـ على رغبته الذاتية .. مثل جماعات الفرق الرياضية ، والنوادى ، والهيئات العلمية والثقافية ، والنقابات ، والأحزاب السياسية ، والجمعيات الدينية . ويتميز تكوين هذه الجماعات عن الجماعات الأولية بالقصد والاختيار ، بمعنى أن هذه الجماعات تمثل الحاجات والرغبات العامة للأفراد ، ولا تعتمد دائما على العلاقات المباشرة بين الأفراد والتى تقوم على مقابلة أفرادها لبعضهم البعض ، وجها لوجه ، بين الحين والآخر .. وانما تقوم على وسائل الاتصال غير المباشر ، أو وسائل الاتصال الجمعى ، مثل الصحف والاذاعة والتليفزيون والدوريات الأدبية والعلمية والمحاضرات وما اشبه . فقد ينتسب الفرد الى جمعية علمية ويصبح عضوا فيها وهى فى بلاد تبعد عنه مئات الأميال فى دول أخرى ، ويقاس على ذلك انتماء الفرد للهيئات السياسية ومختلف النقابات .

ومن أشهر الجماعات الاسلامية التى تنتمى الى هذا النوع من الجماعات جماعة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ورفاقه ، التى تم تكوينها فى المدينة المنورة ، باستخدام المسجد كبوتقة أعيد فيها صهر الأوس والخزرج والمهاجرين والأنصار ليتحولوا الى جماعة جديدة ولاؤها لدين الاسلام ورسالة النبى الكريم ، واختلفوا بذلك عن الجماعات المتناحرة السابقة على الاسلام .

* * *

اهداف الجماعة

قد نتساءل : « لماذا تنجح جماعة ما فى تحقيق ما اجتمعت من أجله ، بينما تفشل جماعة أخرى وتضيع جهود أفرادها هباء منثورا » ؟ وما الذى نعنيه حين نقول : ان الجماعة تتخبط ولا تتحرك خطوة واحدة

نحو هدفها ؟ ما هى العلاقة بين أهداف الجماعة وما يتطلبه تحقيق تلك الأهداف من وظائف جماعية لن يتيسر للجماعة بدونها ان تصل الى تحقيق اهدافها ؟

من المهم أن نعرف المفاهيم الأساسية ، وأن نحاول تحديد أى العوامل تؤدى الى تحديد النتائج ، وتحت أى الظروف .. ما هو المقصود بهدف الجماعة ؟ وكيف نعرف ما اذا كان لجماعة ما هدف معين أو أكثر من هدف ، ودرجة وضوح كل منها ، وتعارضه أو اتفاقه مع الأهداف الأخرى ؟ وما الذى نعنيه حين نقول : ان الجماعة قد نجحت فى الوصول الى هدفها ؟ ثم لنا ان نتساءل بعد ذلك عن العوامل التى تيسر أو تعوق تكوين أهداف الجماعة ، والوصول الى تحقيقها ، وما علاقة كل ذلك بأعضاء الجماعة من حيث اهدافهم وسلوكهم وتفاعلهم ؟ وتحت أى الظروف يعمل الأفراد فى سبيل هدف جماعى ، وتحت أى الظروف يعمل كل منهم فى سبيل تحقيق هدف خاص ؟ وهل هناك تعارض حتمى بين الصالح العام والصالح الخاص ؟(٤) .

* * *

● **ما هو هدف الجماعة ؟**

يحتاج القادة والمديرون الى استخدام بعض الفروض الخاصة بالعوامل التى تحدد فعالية الجماعة ، كما يتحتم عليهم ان يتخذوا من الأعمال ما يرونه مؤديا الى زيادة وحدة الهدف بين جماعاتهم وجعلها أقدر على تحقيق اهدافها . فاذا احصينا الفروض التى يستخدمها قادة الجماعات فى عينة ممثلة من مديرى المؤسسات ، او الهيئات الحكومية ، أو القادة العماليين ، أو الأخصائيين فى خدمة الجماعة ، أو المعلمين ، أو المشرفين على النوادى ، وما الى ذلك ـ فسوف نجد أمامنا قائمة من الفروض المتعارضة ، فاذا ما وضعنا فى الاعتبار أوجه الاختلاف التى يمكن أن

---

(٤) لويس كامل مليكة ، **سيكولوجية الجماعة والقيادة** (ط ٣) . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٦ .

تظهر فى المصطلحات المستخدمة ، فاننا سوف نجد ان معظم المحددات الافتراضية لفعالية الجماعة يمكن أن تندرج تحت واحد أو اكثر من العناصر التالية :

١ ـ درجة وجود هدف واضح .

٢ ـ درجة نجاح الهدف الجماعى فى تعبئة طاقات الأعضاء للنشاط الجمعى .

٣ ـ درجة الصراع بين الأعضاء فيما يختص بالهدف الذى ينبغى ان يوجه نواحى نشاط الجماعة .

٤ ـ درجة الصراع بين الأعضاء فيما يختص بالوسائل التى يجب أن تستخدمها الجماعة للوصول الى أهدافها .

٥ ـ درجة التنسيق بين أوجه نشاط مختلف الأعضاء على النحو الذى تتطلبه أعمال الجماعة .

٦ ـ مدى حصول الجماعة على الموارد المطلوبة ، سواء اكانت اقتصادية أو ثقافية أو مادية ، أو غيرها(٥) .

واذا ما تساءلنا : هل هدف الجماعة هو مجموع أو حصيلة الأهداف المتشابهة لأفرادها أو الأهداف المتشابهة التى يشارك فيها الأفراد بعضهم البعض الآخر ؟ نجد انه ليس من السهل التسليم بهذا التعريف لهدف الجماعة .. فالأفراد قد يتشابهون فى أهدافهم ، أو قد تكون أهدافهم واحدة ، بل وقد يعلم كل منهم ان هدفه هو أيضا هدف كل من الأفراد الآخرين فى الجماعة ، ومع ذلك يصعب أن نتحدث فى مثل هذه الحالات عن قيام أهداف جماعية . وفضلا عن ذلك قد يحدث أحيانا أن يكون للجماعة هدف ، دون أن يكون هناك تشابه واضح بين الأهداف الفردية للأعضاء .

---

(٥) دوروين كارترايت وآخرون (ترجمة محمد طلعت عيسى) ، **تنظيم وقيادة الجماعات** . القاهرة : دار ومطابع الشعب ، ١٩٦٥ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

وقد يكون من الأفضل ان نعرف هدف الجماعة على ضوء تحليل الظواهر ، اى كيف يبدو الموقف بالنسبة لعضو الجماعة . وفى هـذه الحالة نتحدث عن وجود هدف جماعى اذا اتفق الأعضاء فى ادراكهم لأهداف الجماعة .. وذلك أن لكل فرد أهدافه للجماعة ، فيرجو لها مثلا أن تضم أحسن الأعضاء ، أو أن تقصر جهودها على النشـاط الرياضى أو الثقافى ... الخ . وهو يشعر بالرضا أو بالاحباط نتيجة للطريقة التى تؤثر بها أعمال الجماعة فى موقفها من هذه الأهداف .

* * *

● **كيف تتكون الأهداف الجماعية :**

ما هى العوامل التى تؤثر فى اختيـار أهداف الجماعة ؟ يعالج « كارترايت » و « زاندر »(٦) هذا الموضوع من جانبين متميزين رغم اتصالهما الواضح وامكانية حدوثهما فى وقت واحد . أولهما : الطريقة التى يكون بها الأفراد الأهداف للجماعة ، وثانيهما : تحويل هذه الأهداف الى هدف جماعى .

أولا ـ أهداف الأفراد للجماعة :

يبدو من المعقول أن نفترض أنه لكى يقوم هدف جماعى ، ينبغى أن يكون لدى بعض أعضاء الجماعة على الأقل تصـور لأهداف الجماعة . ويبدو أن أهداف الأعضاء للجماعة تتأثر بثلاثة عوامل هى : دوافع الأعضاء ، والأهداف العليا للجماعة ، والعلاقات بين الجماعة والبيئة الاجتماعية .

١ ـ **دوافع الأعضاء :** ليس هناك ما يدعو الى افتراض وجود اختلاف جوهرى بين الطريقة التى تؤثر بها دوافع الفرد على اختياره هدفا للجماعة ، وبين الطريقة التى تؤثر بها هـذه الدوافع فى اختياره هدفا لنفسه .. ففى الحالين ، تتوقف جاذبية الهدف بالنسبة للفرد على مدى تقـديره لامكانية تحقيق الرضا الذى ينشده عن طريق تحقيق الهدف ، وما يتطلبه

---

(٦) D. Cartwright. and A. Zander (eds.) ; Group Dynamics : Research and Theory. : « rev. ed » . (London : Tavistock, 1960) p. 354.

تحقيقه ، واحتمالات هـذا التحقيق . فاذا تصورنا مثلا أن ثلاثة شبان اشتركوا فى عمل تجارى ، وأنهم اجتمعوا معا وبدأ كل منهم يتساءل عما يجب أن يعمل ، ثم تقدم كل منهم باقتراح هو فى مبدأ الأمر هدف الفرد للجماعة ، وهدف ممكن للجماعة ذاتها ، ويناقش الشبان الثلاثة كل اقتراح فيعرضون لمزاياه ولمساوئه ، ويحاول كل منهم أن يقدر كل اقتراح جزئيا على الأقل ، فى ضوء امكانات ارضائه لدوافعه الشخصية .. فتؤدى هـذه العملية الى أن يرتب كل شاب الأهداف المختلفة ، ثم يتخذون قرارا جماعيا ، أى يجمعون هـذا الترتيب فى صورة هدف جماعى يعبىء جهودهم كجماعة .

وعلى ذلك ، يمكن القول ان تأثير الهدف الفردى المعين للجماعة يتوقف على طبيعة دوافع العضو ، وتقديره للثواب أو العائد الذى يمكن أن يحصل عليه ، وما يبذله من نشاط فى سبيل تحقيق الهدف ، ثم على تقديره الذاتى لاحتمالات النجاح فى تحقيق الهدف ، مع ملاحظة أن كلا من دوافع أعضاء الجماعة وتقديراتهم تتأثر عادة بعضوية الجماعة .

٢ ـ **الأهداف الجماعية العليا :** وهى أهداف لها مكانتها وتأثيرها بالنسبة للجماعات الأكثر استقرارا . ومما لا شك فيه أنه فى مثل هـذه الجماعات يتأثر الأعضاء فى تقويمهم للأهداف المختلفة ، وفى تخطيطهم لبرنامج العمل بالأهداف العليا بعيدة المدى والتى قامت الجماعة أصلا لتحقيقها ، أكثر مما هو الحال بالنسبة للجماعات المؤقتة ، والتى يتأثر فيها الأعضاء بدوافعهم الشخصية الى حد كبير ، وفى تخطيط برنامج للعمل . وفى عملية اتخاذ القرار فى الجماعات الدائمة يقوم الأعضاء غالبا بتحديد أهداف فرعية تندرج تحت الأهداف العليا التى سبق تحديدها .

٣ ـ **الجماعة وبيئتها الاجتماعية :** ان الجماعة لا تقوم فى فراغ ، ولكنها تقوم فى بيئة اجتماعية ، ولها علاقات معينة بالجماعات والمؤسسات الأخرى . ويغلب أن يكون لهـذه البيئة الاجتماعية تأثيرها الكبير على اختيار الأهداف للجماعة ، وفى تحديد الجماعة لهدفها تحاول أن تقيم العلاقة المرغوب فيها بينها وبين بيئتها . ويتطلب تغيير خصائص الجماعة أو بيئتها الاجتماعية مراجعة ، وربما تطلب تغييرا للأهداف ، ويشكل

هـذا التفاعل الضرورى بين الجماعة وبين بيئتها الاجتماعية عاملا هاما وهو ضبط البيئة للجماعة . ويجب أن تكون أهداف الجماعة مقبولة من بيئتهـا الاجتماعية .. فالمدارس يجب أن تعلم ما يرضى عنه المجتمـع ، والمصـانع ينبغى أن تنتج ما يرضى أذواق المسـتهلكين ويشبع حاجاتهم ورغباتهم ، والتليفزيون يجب أن يقدم البرامج التى يرضى عنها المشاهدون ، وهكذا . ويتأثر الأعضاء فى اختيارهم لأهدافهم للجماعة بنوع الاستجابة التى يتوقعونها من البيئة الاجتماعية التى تعيش فيها الجماعة . وتتأثر اتجاهات الناس وسلوكهم فى هـذه البيئة بدرجة ادراكهم للجماعة على أنها عنصر هام فى تحقيق أهدافهم ، ولذلك فان الجماعات والمنظمات تبذل جهدا كبيرا كى تحصل على تقبل المجتمع لأهدافها .

والخلاصـة ، أن الفرد فى اختياره لأهداف الجماعة يتأثر بدوافعه الشخصية ، وبتقديره لأحسن الطرق لاشباعها ، كما يتأثر بالأهداف العليا بعيدة المدى للجماعة ، وكذلك بالعلاقة بين الجماعة وبيئتها الاجتماعية . ولكن الطريقة التى تتسـق بها هـذه المؤثرات فى اختيـار الفرد نهائيا لهدف الجماعة غير واضـحة تماما .. فبعض الأفراد قد يتأثر بدوافعـه الشخصية أكثر من غيره ، بينما يستهدف البعض الآخر مصلحة الجماعة أكثر مما يستهدف مصلحته الشخصية . ويحتمل أن ترجع هـذه الفروق بين الأفراد الى فروق فى الاتجاهات الأساسية للشخصية ، كما قد ترجع الى درجة جاذبية الجماعة له .

ثانيا ـ تحويل أهداف الأفراد للجماعة الى هدف جماعى :

يتطلب تكوين هدف جماعى تحويل هدف الأفراد للجماعة الى هدف جماعى قادر على تنشيط الجماعة . ومن المهم أن نميز فى هـذا المقام بين أمرين هما موضع دراسـة الباحثين ، **أولا : كيف** يمكن ان تتحول أهداف الأفراد للجمـاعة الى هدف جمـاعى ، وثانيا : كيف يتم هـذا التحول فعـلا ؟

فبالنسبة للسؤال الأول ، يهتم الباحثون باعتبارين رئيسيين هما : أن تتمثل فى الهدف الجماعى الى أقصى حد ممكن الاهتمامات الفردية لكل

الأعضـاء ، وان يؤدى الهدف الجماعى الى اقصى قدر ممكن من الفعالية والكفاية ، ويمكن ان تسفر البحوث مستقبلا عن عدم وجود تعارض بين هذين الاعتبارين ٠

اما عن السؤال الثانى ، فان البحوث والخبرة اليومية تشير الى أن معظم الجماعات تفشـل الى درجة ما فى مراعاة الاعتبـار الأول وهـو « اهتمامات الأفراد » فى تحديد الهدف الجماعى ، وفى درجة تاثيرهم على الجماعة ٠٠ فالبعض قد تنقصهم الثقة بالذات ، كما أن البعض الآخر قد يجد صعوبة فى التفاعل الاجتماعى ٠ هـذا فضلا عن أنه فى الجماعات الكبيرة ذات البناء الرسمى بخاصة ، يقتصر تحديد الهدف الجماعى على اشخاص معينين ، او على لجان خاصة ٠

* * *

● **تاثير الهدف الجماعى :**

يتمثل هـذا التأثير فى جوانب عدة اهمها سلوك الأعضاء والتفاعل فيما بينهم وتقييم كل منهم للآخرين ٠ وقد سـبق ان ناقشنا العوامل التى تؤثر فى اختيار العضو للهدف الجماعى ، وبالتالى درجة تقبله لهـذا الهدف ٠٠ ومن اهم هـذه العوامل تقدير العضـو لعواقب تقبل الهدف بالنسـبة له ، وجاذبية الجماعة من حيث شدتها ومصدرها ٠ كما تشير البحوث الى انه اذا كان الهدف غير مقبول من نسـبة كبيرة من الأعضـاء فان سلوكهم يغلب عليه التمركز ـ حول الذات ، كما انه يصعب التنسيق بين جهودهم ، وقد لا يكون وعى الأعضاء او اهتمامهم بالهدف الجماعى كاملا(٧) ٠

وكذلك تتأثر العلاقات بين الأعضاء بدرجة تقبلهم للهدف الجماعى ٠٠ وقد ييسر التفاعل بين الأعضاء او يعوق تحقيق الهدف الجماعى ٠٠ ويتوقف ذلك على طبيعة الأعمال التى يعهد بها الى افراد الجماعة ، وعلى توزيع

---

(٧) لويس كامل مليكة ، مرجع سابق ٠ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ٠

العمل بينهم ، وعلى نوع ادائهم للعمل ومستوى هـذا الأداء ، فضلا عن درجة تقبلهم للهدف الجماعى ٠

ويؤثر الهدف الجماعى علي تقييم الأعضاء بعضهم للبعض الآخر ٠٠ فحين يكون للجماعة هدف اجرائى واضح مقبول ، فانه يمكن ايجاد أساس لتقييم العمل الجماعى ، وبن ثم تتأثر مكانة العضو بدرجة اسهامه فى تحقيق هدف جماعى معين ٠ ولذلك ، فليس من المستغرب أن نجد العضو يقاوم تغيير هدف جماعى معين ، اذا كانت مهاراته وامكاناته غير ملائمة لتحقيق الهدف الجديد ٠ واذا لم يكن للجماعة هدف اجرائى ، فان تقييم الأعضاء بعضهم للبعض الآخر يقوم غالبا على أسس أخرى مثل الجاذبية الشخصية أو السن أو المكانة فى المجتمع الأكبر ٠

واننا نتوقع أن يكون للهدف الجماعى تأثيره فى تقييم الذات ٠٠ وقد أوضحت البحوث أن الجماعات تقيم معايير لأداء أعضائها ، وأن المعيار الجماعى قد يؤثر فى تحديد العضو لمستوى طموحه ، وأن العضو يقيم نفسه فى ضوء هـذا المستوى ٠ كما كشفت هـذه البحوث أيضا عن أنه كلما زادت جاذبية الجماعة بالنسـبة للعضو وكلما ازداد احتمال الحكم على ادائه بأنه يؤثر فى نجاح الجماعة ، كلما زاد احتمال أن يتفق مستوى طموحه الشخصى مع المعيار الجماعى ، واذا تخلف أداؤه عن مستوى طموحه شعر بالاحباط والفشل(٨) ٠

* * *

تماسـك الجمـاعة

يعتبر تماسك الجماعة عنصرا هاما فى تحديد قوة معايير الجماعة ودرجة انصياع الأعضاء لهذه المعايير ٠ وقبل أن نناقش مفاهيم التماسك يبدو من المفيد أن نوضح عددا من الأدلة التى يستعان بها غالبا فى التعرف على درجة تماسك الجماعة ٠

---

(٨) المرجع السابق ، ص ١٥٩ ٠

● **أدلة ومقاييس التماسك(٩) :**

١ ـ **أحاديث الأفراد :** سجلت البحوث عن « الجو الاجتماعى » ، عدد المرات التى استخدم فيها الأفراد كلمة « نحن » وكلمة « أنا » فى أحاديثهم ، وكذلك العبارات التى صدرت عنهم ، وعبرت عن شعورهم بالرضا أو بعدمه ، الى غير ذلك من علامات التماسك .

٢ ـ **مقاييس الصداقة :** لقد قامت بعض الدراسات لتحديد تماسك الجماعة عن طريق دراسة تكوين الصداقات بين الأفراد ومقارنتها من جماعة الى أخرى فى الوحدات السكنية . وقد وجد الباحثون اختلافا بين الجماعات من حيث تكوين الصداقات ، يقابله اختلاف فى خصائص أخرى منها شعور الأفراد بالرضا ، وقيام معايير للجماعة ، واتباع الأفراد لهذه المعايير ، وتكاتفهم فى مواجهة الأزمات . هذا بالاضافة الى المسافات بين المساكن وسهولة الاتصال بينها .

٣ ـ **درجة انصياع أعضاء الجماعة للمعايير التى تحدد قواعد السلوك :** مثل مقاومة العمال للطرق المستحدثة فى الانتاج .. وقد تتمثل هذه المقاومة فى ابطاء معدل الانتاج عمدا ، وفى الغياب والاضراب والاستقالة . وقد وجد أن هذه المقاومة تقل اذا اشترك العمال أو ممثلوهم فى اتخاذ القرارات المتعلقة بتغيير طرق الانتاج .

٤ ـ **احتفاظ الجماعة بتماسكها فى أوقات الأزمات :** اتضح من البحوث أن الجماعات المنظمة تكون اقل عرضة للتفكك من الجماعات غير المنظمة فى حالات الاحباط عند مواجهة مشكلات معقدة أو فى مواجهة الأزمات(١٠) .

٥ ـ **الاسهام والانتظام فى نشاط الجماعة :** وقد يستدل على ذلك بمقاييس عدة منها : الغياب ، وترك العمل ، ودفع الاشتراكات ... الخ .

---

(٩) **المرجع السابق** ، ص ٢١٢ ـ ٢١٤ .

(١٠) J. French Jr. ; « The Disruption andCohesion of Groups »; in D. Cartwright, and A. Zander, (eds.) ; op. cit.; ch. 10.

وقد وجدت ارتباطات ذات دلالة احصائية بين متوسط الغياب بين العمال داخل قسم من اقسام الشركة ـ التى شملها البحث ـ التى يعملون بها وبين درجة الرضا فى صفوف أعضاء هـذا القسم عن موضوعات معينة مثل الزملاء فى العمل ، وطبيعة العمل ، والاشراف .

ومما يعيب مثل هـذه الدلائل أنها لا تدل مباشرة على التماسك ، لأنها قد تكون مرتبطة بعوامل أخرى .. فالتغيب عن العمل مثلا قد يرجع الى المرض ، أو الخـوف من العقـاب ، كما قد يرجع الى نقص فى تماسك الجماعة .

* * *

● **مفاهيم التماسـك :**

من الواضح أن كل مقياس من التى يشيع استخدامها للتحقق من تماسك الجماعة يتأثر بمفهوم معين عن التماسك . وقد تشعبت هـذه المفاهيم أخيرا ، واكتسب موضوع التماسك أهمية كبرى فى ميدان ديناميات الجماعة ، حيث انه يمثل الظواهر الجماعية لاستمرار الأفراد فى عضوية الجماعة . بمعنى أن التماسك هو الرباط الذى يربط أفراد الجمـاعة ، ويبقى على العلاقات بينهم وبين البعض الآخر .

وقد تعددت معانى التماسك ، فتضمنت ما يقرب من احدى المعانى الآتيـة : الروح المعنوية ، الاتحاد ، التنسـيق بين جهود الأعضـاء ، الانتاج ، القوة ، الاندماج فى العمل ، الشـعور بالانتماء ، الفهم المشترك للأدوار ، العمـل الجماعى بروح الفريق ، التجاذب نحـو الجماعة ، ومقاومة التخلى عن عضويتها ... الخ .

ومن الممكن أن نصنف هـذه المعانى الى فئتين متميزتين : أولاهما تتركز حول نواحى معينة فى العملية الجماعية أو السـلوك الجمعى .. فتشير كلمة التماسك الى معانى مثل الروح المعنوية (أى مستوى الدافع لدى الأفراد للاقبال على عملهم بحماس) والكفاءة ، وروح الجماعة . وقد تكون جاذبية الجماعة لأعضائها متضمنة فى هـذه التعاريف ولكنها

تكون عادة فى المستوى الثانوى من الأهمية . اما الفئة الثانية من التعاريف فهى التى تعرف التماسك بأنه محصلة القوى التى تجذب الأعضاء إلى الجماعة وتدفعهم إلى البقاء فيها ومقاومة التخلى عن عضويتها(١١) .

وفى ضوء هـذا المفهوم عن تماسك الجماعة يمكن أن نتصور الكثير من الاحتمالات .. فمثلا ، اذا انضم شخص الى جمّاعة متوقعا ان ذلك الانضمام سوف يشبع حاجات معينة لديه ، ثم تغيرت هـذه الحاجات أثناء عضويته فى الجماعة ، فان جاذبية الجماعة سوف تقل بالنسبة له ، الا اذا اشبعت الجماعة حاجاته الجديدة بقدر متساو أو أكبر . ومن الممكن ان تتعدل حاجات الأعضاء عن طريق خبراتهم فى الجماعة .

وفى ضوء ما سبق يمكن القول بأن تماسك الجماعة يتأثر بعدة عوامل منها : مشاركة الأعضاء في تحـديد أهداف الجماعة وفى وضـع الخطط لتحقيقها ، وفي اقامة المعايير الجماعية ، ونمط القيـادة فى الجماعة ، ومستوى الروح المعنوية فى الجماعة . ولكن هـذه القوى التى تعمل على تماسك الجماعة تتدعم هى نفسها بتماسك الجماعة .. فالناس اذا شاركوا في المعايير أو القيم ، يكونون اكثر تماسكا من الناس الذين يختلفون اختلافا واضحا فى قيمهم .

* * *

● **جاذبية الجماعة :**

يمكن القـول بأن جاذبية الجماعة هى محصـلة القوى التى تدفع الأفراد الى البقاء فى الجماعة ، ومن ثم فان المدركات والتوقعات والمعايير المشـتركة تلعب دورا حيويا فى هـذه العملية .. واذا ما تساءلنا لمـاذا ينضم الأفراد الى الجماعة او يبقون فيهـا ؟ اى ما هى مصـادر جاذبية الجماعة ؟ فانه يمكن التمييز بين مصدرين فى هـذا الصدد هما(١٢) :

(١١) S. Shachter, and K. Blnck; **Social Pressures in Informal Groups.** (N. Y. : Harper, 1950) .

(١٢) I, Festinger; « Group Attraction and Membership », in D. Cartwright and A. Zander; **op. cit.**, ch. 8.

اولا ـ الجماعة نفسها : اى ان موضـوع حاجة الفرد الى الانضمام للجماعة هو الجماعة نفسها .. وقد يكون ذلك بسبب جاذبية افراد الجماعة له ، فيجب أن يكون معهم بصرف النظر عن نوع نشـاطهم وحديثهم ، او قد يكون بسبب حبه لأنواع النشـاط التى توفرها الجماعة له ، او قد يكون العاملان السابقان مصدر الجاذبية ـ اى الأفراد والنشـاط ـ وقد ينضم الفرد للجماعة لأنه يحترم اهدافها ويقدرها ، وقد تكون هـذه الأهداف قومية او دينية او اجتماعية .. الخ . ، فاذا رأى لسبب من الأسـباب أن الجماعة لن تستطيع تحقيق هـذه الأهداف ، قلت جاذبية الجماعة له تبعا لذلك .

ثانيا ـ الجماعة وسيلة لاشباع حاجات خارج الجماعة : مثل اكتساب مكانة فى البيئة نتيجة الانضمام الى تلك الجماعة ، او رغبة فى الحصول على أجر اكبر ، وشعور بالأمن . فاننا نلاحظ أن الشعوب فى أوقات الشدة يزداد تماسكها ، لادراك كل فرد انه يعتمد على الآخرين فى كفالة الأمن للجميع . وقد قام « شاشتر »(١٣) بسلسلة من البحوث لدراسة تأثير حالات القلق على الرغبة فى التواجد والبقاء مع الآخرين ـ وهى التى اسماها « النزعة الى الانتماء » ـ وقد اوضحت النتائج ان حالة القلق تؤدى الى اشتداد النزعة الى الانتماء . ويبدو انه حين يقلق الناس او حين يكون الموقف غامضا بالنسبة لهم ، فانهم قد يحسون برغبة شديدة فى التواجد مع الآخرين كوسيلة للتخفف من القلق ولتقييم الذات وتحـديد الاستجابة المناسـبة .

* * *

● **العوامل المؤدية الى زيادة جاذبية الجماعة :**

يمكن ان نزيد جاذبية الجماعة عن طريق اشـعار الأفراد بأن حاجاتهم يمكن اشباعها عن طريق الانضمام للجماعة ، او عن طريق جعلها اكثر اشباعا لحاجاتهم .. كأن يعلن مثلا أن الجماعة فرصة طيبة لتكوين صداقات

(١٣) S. Schachter; **The Psychology of Affiliation.** (Stanford, Calif. : Stanford Univ. Press, 1959).

جديدة ، أو لزيادة الأجور ، وما اشبه . وقد أشارت البحوث الى عـدد من العوامل المؤدية الى زيادة جاذبية الجماعة تتلخص فى الآتى :

١ ـ **المكانة :** كلما زادت مكانة الفرد داخل الجماعة ، أو كلما زادت المكانة التى يحتمل أن يحصل عليها اذا انضم للجماعة ، كلما زادت القوى التى تدفعه للانضمام الى الجماعة . وقد اشارت احدى الدراسـات الى نتيجة مؤداها ان اقل المكانات فى الجماعات جاذبية للأفراد هى المكانات العاليـة المهددة بالتخفيض ، والمكانات المنخفضـة غير القابلة للترفيع (الترقية) ، اى ان هذين النوعين من المكانة هما اشد المكانات خطرا على تماسك الجماعة . كما ان الأفراد الآمنين على مراكزهم فى المكانات العالية واولئك الذين كانوا يقدرون احتمال ترقيتهم من مكاناتهم المنخفضة كانوا اكثر الأفراد اقبالا على باقى افراد الجماعة(١٤) .

٢ ـ **العلاقات التعاونية :** تزداد جاذبية الجماعة للعضو اذا اتضحت اهدافها بالنسبة له ، واذا اتضح طريقها لتحقيق هـذه الأهداف ، ودوره فى هـذا السبيل . ويصعب أن تقوم جماعة وان تبقى وتستمر الا اذا كان هناك فهم مشترك بين افرادها بحيث يدركون الكثير من الموضوعات من نفس المنظور ، ويتحقق ذلك عن طريق مشاركتهم فى تحديد الأهداف واقامة المعايير التى يلتزمون بها فى حدود معقولة .

٣ ـ **ازدياد التفاعل بين افراد الجماعد :** وجد « سيشور »(*) فى دراسـة لأكثر من مائتى جماعة من جماعات العمال فى موقف صناعى ان الجماعات الأصغر حجما يغلب ان تكون اكثر تماسكا من الجماعات الأكبر فى الحجم . وقد يرجع ذلك الى نقص التجانس (نتيجة زيادة حجم الجماعة) فى اتجاهات واهتمامات وقيم الأعضاء ، ومن ثم نقص الشعور

---

(١٤) لويس كامل مليكة ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

(*) S. Seashore **Group Cohesiveness in the Industrial Work Group.**(ann. Arbor :Mich. : Institute for Social Research, 1954) .

بتوطد الصلة . وكذلك يغلب أن تزداد جاذبية الجماعة بالنسبة للأعضاء الذين يشعرون بأنهم موضع اهتمام وتقدير وتقبل من الجماعة .

٤ ـ **الأحداث الاجتماعية :** قد تعمل بعض الظروف الاجتماعية العامة على تغيير حاجات عدد كبير من الأفراد ، فتتأثر تبعا لذلك جاذبية أنواع معينة من الجماعات . وتتأثر جاذبية الجماعة بمكانتها فى المجتمع ، فقد تيسر للأفراد تحقيق غايات لا تتحقق لهم خارجها مثل تكوين الصداقات . كما أن النقد الذى يوجه من الخارج الى الجماعة قد يزيد من تماسكها اذا أدرك الأفراد الجماعة كمصدر أمن لهم . ويبدو أن تماسك الجماعة يمكن أن يزداد فى بعض الحالات نتيجة الضغط عليها من مصادر خارجية .. وقد وجد « ليتون »(١٥) أن اللاجئين اليابانيين فى معسكر اقيم أثناء الحرب العالمية الثانية بدأوا يتجمعون فى منظمات قوية حين اشتد عليهم الضغط من جانب ادارة المعسكر فى أمور بدت أنها تهدر قيمهم .

٥ ـ **التشابه بين أعضاء الجماعة :** قد تؤدى أنواع معينة من التشابه بين أعضاء الجماعة الى زيادة تماسكها . ويرجع ذلك الى أن الكثيرين من الناس ينضمون الى الجماعة كى يفهموا أنفسهم فهما أحسن عن طريق مقارنة أنفسهم بالآخرين . ولن تكون لهذه المقارنة قيمة الا اذا أجريت بين الشخص وبين من يقربون منه فى القدرة ، ولذلك فانه من الطبيعى أن ينشد الشخص الانضمام الى جماعة ممن يشابهونه .

والخلاصة : أن جاذبية الجماعة ـ ومن ثم تماسكها ـ قد تزداد عن طريق زيادة قدرتها على اشباع حاجات أعضائها مثل : الحاجة الى المكانة والتقدير والأمن ، وكذلك عن طريق خلق علاقات تعاونية وتهيئة الفرص للتفاعل الحر . كما أن تماسك الجماعة قد يزداد نتيجة لأحداث خارجية مثل توجيه النقد أو الضغط عليها ، ومثل نجاح الجماعة فى الحصول على مزايا لأعضائها ، وقد يزداد التماسك ايضا نتيجة التشابه بين أعضاء الجماعة .

* * *

(١٥) A. Leighton; The Governing of Man. (Princeton Uriv. Press, 1945) .

● **نتائج تماسك الجماعة :**

يلخص « كارترايت » و « زاندر »(١٦) نتائج الدراسات التى ألقت الضوء على نتائج تماسك الجماعة فيما يتصل بخصائص الأعضاء الذين يحسون بشدة جاذبية الجماعة لهم ، فى ان هؤلاء الأعضاء يتميزون عن غيرهم بسلوك جماعى يسهم فى الابقاء على الجماعة وصيانتها وزيادة كفاءتها . ويتمثل هذا السلوك فى الآتى :

١ ـ **النشاط :** الذى يدل على الشعور بالمسئولية نحو الجماعة ، والذى يتسم بقدر أكبر من المشاركة فى اجتماعاتها ، وبالمثابرة لمدة أطول على العمل لتحقيق اهداف صعبة ، والاحتفاظ بعضوية الجماعة لمدة أطول .

٢ ـ **تبادل التأثير :** يكون هؤلاء الأعضاء أكثر استعدادا للتأثير فى غيرهم ، وأكثر تقبلا لآراء الغير .

٣ ـ **تشابه القيم :** يزداد اهتمام هؤلاء الأعضاء بأهداف الجماعة ، ويزداد تمسكهم بمعايير الجماعة ، كما يزداد ضغطهم على من ينحرفون عنها .

٤ ـ **الشعور بالأمن :** يزداد شعور هؤلاء الأعضاء بالأمن والاطمئنان فى نشاطهم الجماعى الذى يجدون فيه تخففا من التوتر .

* * *

تماسك الجماعة الاسلامية

لقد قامت الجماعة الاسلامية على الأسس الآتية(١٧) :

١ ـ أن تتجه عبادتها الى معبود واحد فقط ، قال تعالى : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** .. » . (النساء : ٣٦).

---

(١٦) D. Cartwright, and A . Zander; Op. Cit. p. 88.

(١٧) محمد البهى ، **الاسلام فى حياة المسلم** ، مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

٢ ـ ان تبقى فى سلام مع غيرها من الجماعات الاخرى ، لقوله تعالى :
« **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين** » . (البقرة : ٢٠٨)

٣ ـ واذا هوجمت من جماعة اخرى يجب عليها ان لا تستكين لهذا الهجوم ، قال سبحانه : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** » . (البقرة : ١٩٠)

واذا اعتدى عليها يجب ان ترد الاعتداء ، لقوله تعالى :
« .. **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين** » . (البقرة : ١٩٤)

وان ما اتى به الاسلام فى شأن تماسك هذه الجماعة وبقائها صلبة قوية ، فمنبثق اكثر من ذات الايمان بالله ، ويعود غالبه الى الجانب الروحى فى الانسان . فالايمان بالله ـ دون غيره ـ هو الذى ربط بين الفرد وغيره فى الجماعة الاسلامية ، فيجب ان يكون هذا الايمان ملحوظا فى استمرار العلاقة بين الفرد والآخرين .. وبناء على ذلك ، يجب الا يهجر المؤمن بولائه واخلاقه مؤمنا آخر معه ، ويتجاوز بهذا الولاء والاخلاص الى من هو عدو لهما ، قال تعالى : « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا ان تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير** » .
(آل عمران : ٢٨)

وتعبير القرآن الكريم هنا فى صورة النهى القاطع : « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين** » ، ثم حكمه على من يصنع ذلك ليس على الحقيقة من المؤمنين بالله فى شىء : « **ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء** » ، ثم هذا التحذير القوى للمخالف من رب الكون كله سواء فى الحياة القائمة او الحياة المنتظرة : « **ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير** » ـ كل هذا يوضح الى اى مدى حرص الاسلام على

تماسك الجماعة الاسلامية وبقائها قوية ، بعد أن قامت وأصبح لها سماتها الخاصة وشخصيتها المتميزة .

ان تجارب الأيام فى تاريخ البشرية تؤكد أن العنصر النفسى فى حياة الانسان والجماعة أقوى من أى عنصر آخر سواه ، فاذا ضعفت النفس لدى الفرد أو ضعف الترابط النفسى بينه وبين غيره كان التلاشى للفرد نفسه وكانت القطيعة بينه وبين غيره ، فالمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، وعلى العكس تبرز صورة الحياة واضحة لمن قويت نفسه ، وكذلك للجماعة التى قويت الصلات الروحية بين الأفراد فيها .

وولاء المؤمن للمؤمن الذى يدعو اليه القرآن الكريم هو أكثر من صلة نفسية وأكثر من شعور روحى متبادل قائم على التعاطف وعدم النفرة بين فرد وآخر .. ان هذا الولاء هو الاخلاص فى العلاقة ، وهو ايثار الصديق ، وهو الاحساس القوى بالكيان المشترك للاثنين معا .. وبما يجب على المؤمن نحو المؤمن من الولاء والاخلاص ـ على النحو الذى أوضحه القرآن الكريم ـ تقوم الأسباب الأخرى فى تماسك الجماعة وصلاتها ، اذ تصور للمؤمن فى كل عمل يصدر عنه أنه مبنى على هذا الاخلاص فى العلاقة . واذا وجد هذا الاخلاص فى العلاقة ، فلا يتصور مؤمن عندئذ مؤمنا آخر تصورا يشينه ، فلا يغتابه ولا ينم ويشى به ، ولا يسعى للفساد بينه وبين غيره ، ولا يفزع منه أو يخافه ، ولا ينزع الثقة منه ، ولا يحتقره أو يسخر منه .. كما لا يصدر من مؤمن عندئذ لمؤمن آخر فعل يؤذيه نفسيا أو بدنيا ، أو يضره فى ماله وولده أو فى عرضه ، وحينئذ لا يسبه أو يتبعه بالايذاء فى صورة ما ، ولا يسرقه أو يخدعه أو يغشه فى التعامل معه .

وكل ما أتى به الاسلام فى آدابه ووصاياه الخلقية ، سواء فى جانب النهى أو الفعل ، هو فى واقع الأمر تفريع على الولاء الذى طلبه بين المؤمن والمؤمن بصفة كون كل منهما مؤمنا ، وهو ذلك الولاء الذى عبر عنه فى صورة هى تعبير عن الواقع ، أو عما يجب أن يكون ، قال تعالى :

« والمؤمنـون والمؤمنـات بعضهم اولياء بعض ، يأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكر .. » . (التوبة : ٧١)

ولم تقم الجماعة الاسلامية بالأمس لتفنى اليوم او غدا .. فان قيامها كان نتيجة لرسالة من الله سبحانه ، وكذلك بقاؤها وتماسكها ذو صلة قوية بالايمان بالله ، لقوله تعـالى : « .. ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » . (الحج : ٤٠)

ان الايمـان بالله هو الاخلاص لرسالته وللغير ، ودفع العدوان ، وتعاون على العمل المثمر فى الحياة(١٨) .

* * *

بنـاء الجمـاعة

فى ضوء المناقشات السابقة ـ سواء ما اتصل منها بأهداف الجماعة او تماسكها ـ نخلص بعدد من النتائج الهامة ، يلقى كل منها بعض الضوء على ناحية من النواحى فى موضوع « ديناميات الجماعة » . وهى تشير جميعها الى أن كلا من « الكفاءة الموضوعية » للجماعة (اى درجة نجاحها فى تحقيق أهدافها الجماعية) ، و « الكفاءة الذاتية » للجماعة (اى درجة نجاحها فى ارضاء افرادها) تزداد اذا لعب الأفراد دورا ايجابيا فى تحقيق أهداف الجماعة ، وفى اختيار خطة العمل ، وفى ابتكار الحلول للمشكلات بدلا من أن تفرض عليهم .

ولكن ما الذى يحدد درجة كفاءة الجماعة بنوعيها الموضوعى والذاتى ؟ لعل اول ما يخطـر على البال من عوامل هو « تنظيم الجمـاعة » ، او التنظيم الذى تضعه الجماعة لنفسها او يفرض عليها من سلطة خارجية . وتنظيم الجماعة ، او بناؤها ، يشمل فيما يشمل التمييز بين الأفراد على أساس ما يسمى عادة « المكانة » او المركز الذى يشغله كل منهم فيها ،

---

(١٨) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٢ .

ويشمل أيضا طرق الاتصال بين الأفراد ، وكذلك توزيع العمل بينهم . وطالما أن الجماعة باقية وقائمة بنشاطها الجمعى ، فان الحاجة تكون قوية لتوزيع المسئوليات بين أفرادها ، وهذا هو ما يميز الجماعة عن المنظمة .. ذلك أن الجماعة قد يكون لها قائد أو لا يكون ، وقد لا يكون على أفرادها مسئوليات متبادلة نحو العمل المشترك . أما اذا تميز أعضاء الجماعة بعضهم عن البعض الآخر بحسب مسئولياتهم أو بحسب الأدوار المتوقع قيامهم بها فى العمل على تحقيق الهدف المشترك ، فانها تسمى « منظمة » .

وتختلف الجماعات من حيث درجة الشكلية فى تحديد بنائها .. فبعض الجماعات يتحدد بناؤها تحديدا شكليا كبيرا عن طريق مواثيق مكتوبة ولوائح داخلية وتعليمات تنظيمية تنص على كل مركز داخل الجماعة من حيث واجباته ومسئولياته وعلاقاته بالمراكز الأخرى ، فيما يتعلق بالاتصال والسلطة وامكانات الترقية . ولكن بعض الجماعات الأخرى قد يكون لها بناء ثابت دون أن يكون هناك وصف محدد لهذا البناء أو اتفاق شكلى عليه . ويتضح من البحوث أن تأثير الجماعة غير الرسمية على أعضائها لا يقل عن تأثير الجماعة الرسمية ، وفى حالات كثيرة قد يكون فى المنظمة الرسمية منظمة غير رسمية مختلفة عنها .. ولقد شاع الاهتمام بالتنظيمات غير الرسمية نتيجة لدراسات « ويسترن اليكتريك » فى عام ١٩٣٠ ، التى أوضحت أنها جزء هام من الموقف العام للعمل(١٩) . وقد أشارت هذه الدراسات الى أن التنظيم غير الرسمى هو حصيلة العلاقات الشخصية والاجتماعية التى لا دخل للسلطة الرسمية بها أو فى تكوينها ، ولكنها تنشأ تلقائيا عندما يرتبط الناس كل منهما بالآخر . والتركيز فى هذه التنظيمات غير الرسمية منصب أساسا على الناس وعلاقاتهم ، فى حين يركز التنظيم الرسمى على الوظائف من حيث السلطة والاختصاص . وعلى ذلك فالقوة غير الرسمية ترتبط بفرد أو «شخص» ،

---

(١٩) F. Roethlisberger, and W. Dickson; **Managment and the Worker.** (Cambridge, Mass . : Harvard Univ. Press. 1939)

على حين ترتبط السلطة الرسمية بالمركز أو « الوظيفة » ، ويمسوسها الشخص فقط ويمارسها عندما يكون فى هذا المركز . فالقوة غير الرسمية شخصية ، أما السلطة الرسمية فتنظيمية(٢٠) .

وتوضح الدراسة التى قام بها « بيرنز »(٢١) فى أحد المصانع وجود جماعات غير رسمية بين موظفى ادارة المصنع . ويجتمع أفراد هذه الجماعات فى الممرات وفى الكافيتريا (البوفيه) وخارج المصنع بعد انتهاء العمل ، والنشاط الرئيسى لهذه الجماعات هو تبادل الأقاويل وتناقل الشائعات . وكشفت هذه الدراسة عن وجود نوعين من الجماعات غير الرسمية .. فيضم النوع الأول كبار السن من العاملين ممن لا تروق لهم الأساليب الادارية الحديثة وممن يوجهون نقدا لاذعا للناجحين فى عملهم ، فهى نوع من النظام الدفاعى ضد التطور . أما النوع الآخر من الجماعات غير الرسمية ، فهو يضم صغار السن ممن يسعون للتقدم ويحاولون ضم ذوى النفوذ سعيا وراء تقدم أكبر يتفق مع اهتماماتهم . ويبدو من المعقول أن نفترض أن العضو ينضم لهذه الجماعات غير الرسمية اذا كانت جاذبيتها أشد من جاذبية الجماعة الرسمية ، أى أكثر اشباعا لحاجاته .

والخلاصة : أن بناء الجماعة يتكون من الأجزاء أو المراكز المتميزة فيها ، وترتيبها بعضها بالنسبة للبعض الآخر . ويمكن من هذه الناحية التمييز بين الجماعات على أساس المقارنة بين الأفراد من حيث المركز أو المكانة ، ودرجة التوحد مع الجماعة ، والقوة أو التأثير على الآخرين ، وتمكنهم من المصادر المختلفة للجماعة ، وكذلك مركز الفرد فى شبكة الاتصال فى الجماعة .

* * *

---

(٢٠) كيث ديفيز ، (ترجمة سيد عبد الحميد مرسى ومحمد اسماعيل يوسف) ، **السلوك الانسانى فى العمل** . القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ ، ص ٣٤٠ .

(٢١) T. Burns ; « The Reference of Conduct in Small Groups : Cliques and Cabals in Occupational Milieux; » **Hum. Relat., 1955.** .

البناء الاسـلامى للجماعة

يرى علم الاجتماع الاسلامى ان التشريع الاسلامى هو اساس قيام الجمـاعة الانسـانية ، والأسـاس الذى تسـتند اليـه فى كل بناءاتها الاجتماعية وكل تبادلاتها الأسرية والاقتصادية والأخلاقية والسـياسية . ومن هـذا المنظور ، يتكون البناء الاجتماعى لأى جماعة فى نظر الاسلام من بناء أساسى وهو الشريعة ، وما ينشأ عنه من علاقات اجتماعية ضرورية ، وبناء آخر فرعى مشتق من البناء الأساسى ومنبثق منه ، يصبغه ويشكله بصبغته حتى يصبح وحـدة متكاملة . ويشـمل هذا البنـاء الفرعى كل الأنظمة الاجتماعية بما فيها من علاقات تبادلية اخلاقية وسياسية واقتصادية واجتماعية(٢٢) .

وليس معنى ذلك ان البنـاء الاجتماعى فى المجتمع الاسـلامى بناء جامد لا يقبل الجـديد ، بل على العكس ، لأن أساس هـذا البنـاء ـ وهو الشريعة الاسلامية ـ أساس مرن واضح ويصلح لكل زمان ومكان .. فهو منهج الهى كامل غير قابل لأى خلل او قصور ، ويتسع لكل جديد يدخل المجتمع الاسلامى ، ولكن بشروط اسلامية معينة ، وهى ان يتفق هـذا الجديد مع القيم والمبادىء الاسلامية ومع الاطار الثقافى الاسلامى .

وهناك عاملان اساسيان يربطان بين انماط العلاقات التبادلية للبنـاء الاجتماعى الاسلامى : الأول ، ان كل انماط العلاقات فى المجتمع صادرة من منبع ومصدر واحد وهو شرع الله . والثانى ، وجود الوحدات البنائية البديلة التى لا تقتصر على نمط معين ، وانما تنتشر فى كل الأنماط بصورة او بأخرى لكى تربط بين كل الأنماط وبين المصدر الأصلى لها . وهـذا هو السبب فى ان فساد اى وحدة بنائية مهما كانت بسيطة يؤدى الى انتشـار التفكك والانحلال والاضطراب فى كل الأنماط البنائية الأخرى .

---

(٢٢) محمد علوان ، مفهوم اسلامى جديد لعلم الاجتماع ، (جـ ١ ـ الجماعة) . جدة : دار الشروق ، ١٩٨٣ ، ص ٧٠ .

مما سبق يتضح أن المجتمع الاسلامى بناء عام متكامل ومتجانس ومترابط ، تحتل فيه الشريعة الاسلامية الأساس الضرورى الذى من أجله نشأت الجماعة ، وينبع منها كل انماط العلاقات التبادلية الاجتماعية ، تلك العلاقات التى يمكن تحليلها الى أنماط العلاقات التبادلية الأخلاقية ، والسياسية ، والاقتصادية . وسنناقش أنماط هذه العلاقات التبادلية الاجتماعية فيما يلى :

● **أنماط العلاقات التبادلية الأخلاقية :**

تحدد الشريعة فى المجتمع الاسلامى أنماط العلاقات التبادلية الأخلاقية ، والوظيفة الاجتماعية لتلك الأنماط هى وضع الاطار العام لما ينبغى أن تكون عليه معاملة الناس عن طريق تقرير ما هو صالح والتحذير مما هو ضار بالفرد أو بالجماعة . أى أن الأخلاق تقوم بدور مزدوج ، فهى دافع للسلوك وحافز اليه ، وفى ذات الوقت تقوم بدور المراقبة والضبط الاجتماعى .

ونستطيع أن نحلل أنماط العلاقات التبادلية الأخلاقية الى مجموعة من الوحدات البنائية الأساسية والبديلة ، تعتبر دعامات بنائية وروابط بين كل العلاقات فى داخل المجتمع الاسلامى على النحو التالى(٢٣) :

١ ـ التقوى وحدة بنائية أساسية :

تعبر التقوى عن الوظيفة الاجتماعية التى خلق الله الجماعة من أجلها .. وهى الخلافة فى الأرض والعبادة وتطبيق شريعة الله ، أى أنها احدى الأسس التى نشأت الجماعة الانسانية عموما من أجلها .. فتقوى الله هى العامل الأساسى المحدد لقوة المجتمع المسلم ، وهى أساس بنائى لكل انماط العلاقات الأخرى . فهى أولا أساس بنائى لنمط العلاقات الأخلاقية ، لأنها تتضمن بشكل مباشر أو غير مباشر كل الوحدات البنائية

---

(٢٣) محمد علوان ، مرجع سابق . ص ٨٠ ـ ٨٨ .

الأساسية والبديلة ، كما تتضمن أيضا الأطر العامة للعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

وتشمل أيضا المبدأ الأول للمجتمع الاسلامى ، أى افراد الوحدانية لله سبحانه ، قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون** » . (آل عمران : ١٠٢)

كما يكمن فيها كل الفضائل ، ويتمثل ذلك فى قوله تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون** » .
(البقرة : ١٧٧)

وتتضمن التقوى وحدات بنائية كثيرة جدا ، نذكر منها بعض ما حدده القرآن الكريم فى أن العدل من التقوى ، والعفو من التقوى ، والاستقامة من التقوى . قال تعالى :

- « .. **اعدلوا هو أقرب للتقوى** .. » . (المائدة : ٨)
- « .. **وأن تعفوا اقرب للتقوى** .. » . (البقرة : ٢٣٧)
- « .. **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين** » .
(التوبة : ٧)

لذلك لا عجب أن نجد القرآن يحض عليها على مستوى الفرد والجماعة ، قال تعالى :

- « **يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** .. » .
(الأنفال : ٢٩)
- « .. **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** .. » .
(البقرة : ١٩٧)

● « الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة •• » •

(يونس : ٦٢ ـ ٦٤)

وتتضمن التقوى أيضا « الاستقامة » ، وهى تعنى الالتزام بالمنهج الالهى والدعوة اليه فى نفس الوقت ، فهى تؤدى وظائف التوعية اللازمة لأى شبكة من العلاقات حتى يتضح الاطار العام للسلوك المرغوب فيه • ولهذا يعطى الاسلام الاستقامة مكانة خاصة ويعد كل من يلتزم بها وعدا حسنا فى الدنيا والآخرة • قال تعالى :

● « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » • (الأحقاف : ١٣)

● « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون • نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون • نزلا من غفور رحيم » • (فصلت : ٣٠ ـ ٣٢)

* * *

٢ ـ الصدق وحدة بنائية أساسية :

من أهم عوامل استقرار المجتمع الاسلامى وثباته « الصدق » ، فهو كفيل بأن يشيع جوا من الثقة يتخلل كل أبنية الجماعة • ومن أهم الوظائف السوسيولوجية للصدق أن تتم المواقف الاجتماعية بين الأفراد فى بساطة ويسر دون تعقيد أو ضمانات كثيرة • وتنتشر هذه الوحدة البنائية فى كل أنماط العلاقات ، حيث تعتبر وحدة أساسية فى البناء السياسى ، لأنه من الضرورى أن تقوم أنماط العلاقات التبادلية بين الصفوة فى المجتمع وبين القاعدة على أساس من الصدق ، كما يجب أن تلتزم كل المؤسسات السياسية بالصدق والا فسدت الجماعة •

والصدق أيضا وحدة أساسية فى العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع

فى شتى انواع التعامل ، ثم يتحور لكى يصبح وحدة بنائية بديلة فى النظـام الاقتصادى حيث يتخذ صـورة الوفاء بالكيل والميزان والتعامل بما يرضى الله . ولهذا نجد الخالق سبحانه وتعالى يدعو للتخلق به فيقول فى كتابه العزيز :

- **« والذين هـم لأماناتهم وعهـدهم راعون » ..**
(المؤمنون : ٨)

- **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .**
(التوبة : ١١٩)

- **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا » .**
(الأحزاب : ٧٠)

- **« واذكر فى الكتاب اسـماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسـولا نبيا » .** (مريم : ٥٤)

- **« ليجزى الله الصادقين بصدقهم .. » .** (الأحزاب : ٢٤)

- **« ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلهـا .. » .**
(النساء : ٥٨)

- **« فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه .. » .** (البقرة : ٢٨٣)

ومن الحديث النبوى الشريف :

ـ « أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » .
(رواه أحمد وأبو داوود)

ـ وعن انس قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ الا قال : « لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » . (رواه أحمد)

ـ « المستشار مؤتمن » . (رواه الطبرانى)

ـ « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » . (رواه مسلم)

* * *

٣ ـ الاصلاح وحدة بنائية بديلة :

يلازم الصدق « الاصلاح بين الناس » ، فالاصلاح بين الناس من اهداف الاسلام . واول دليل على حسن ايمان الفرد أن لا يكون مستقيما فى حياته فقط ، بل ان يسعى الفرد وتسعى الجماعة للاصلاح بين الناس ، لأن الخلافات بين الجماعات الصغيرة فى كل مجتمع مسلم امر وارد ، ومن هنا جاءت ضرورة الاصلاح . قال تعالى : **« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »** . (هود : ١١٧)

والاصلاح وحدة بنائية بديلة لأنه يتخذ صورا متعددة داخل انماط العلاقات التبادلية الأخلاقية وفى داخل كل الأنماط الأخرى ، حيث يمكن ان يكون اصلاحا بالفعل او بالكلمة او بتقديم المعونة فى اى شكل من الأشكال .

واذا كان الاصلاح وحدة بنائية بديلة فى الأخلاق ، فهو وحدة بنائية اساسية فى النظام السياسى والعلاقات التبادلية القضائية ، كما يعم ويسود كل انماط العلاقات الاجتماعية فى نظر الاسلام ، فهو وحدة اساسية فى شبكة العلاقات الاجتماعية كما تدل على ذلك الآية الكريمة : **« لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما »** . (النساء : ١١٤)

وهو وحدة اساسية فى انماط علاقات القرابة ، حيث يعتبر احد

وسائل المحافظة على الأسرة فى الاسلام . قال تعالى : « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلهـا ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما .. »** . (النساء : ٣٥)

وهو أيضا وحدة بنائية أساسية فى انماط العلاقات السياسية على المستوى المحلى أو القومى والمستوى الدولى ، قال تعالى :

- « **انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم** » .

(الحجرات : ١٠)

- « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ..** » .

(الحجرات : ٩)

والاصلاح هنا له معنى خاص فى علم الاجتماع الاسلامى ، فهو الأخوة فى الله التى يصورها الاسلام تصويرا يفوق كل أنواع العلاقات الاجتماعية الأخرى ، فهـذه الأخوة فى نظر الاسـلام اسـمى من الأخوة القـرابية البيولوجيـة .

* * *

٤ ـ الايثار وحدة بنائية أساسية :

ان الوظيفة الأساسية للايثار هى تنمية شبكة من العلاقات التبادلية فى المجتمع يسودها روح الحب والمحبة والرحمة ، وترتبط برباط وثيق من المودة والتعاون ، ولذا تحض الشريعة عليه كأساس بنائى ضرورى ، ويتمثل هـذا فى قول الخالق جل وعلا : « .. **ويؤثرون على انفسـهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » .

(الحشر : ٩)

ولهذا فالايثار وحدة بنائية تربوية أساسية ، تربط كل الأبنية الاجتماعية ، وتتمثل فى أحسن صورة لها فى النظام السياسى الاسلامى عندما يؤثر الحاكم المحكومين على نفسه ، وفى أنماط العلاقات الاجتماعية عندما يؤثر

الفرد فردا آخر ، وفى انماط العلاقات الأسرية عندما يؤثر المسلم ذوى الرحم على ذاته ، وفى انماط العلاقات الاقتصادية عندما يقنع التاجر او المؤسسات التجارية بالربح القليل من اجل مصلحة الجماعة ككل .

* * *

٥ ـ التعاون وحدة بنائية بديلة :

وهو يلازم الايثار ، وقد يأخذ التعاون صورا عديدة فى بنية المجتمع المسلم .. فقد يكون التعاون على البر والتقوى ، وقد يكون التعاون فى العمل ، او فى الانتاج او فى الاستهلاك او فى التوزيع ، وهو واضح الآن فى شتى مجالات الانتاج والتوزيع التعاونى ، ويعتبر ضرورة لكل من الفرد والجماعة . قال تعالى :

● **« .. وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان .. » .** (المائدة : ٢)

● **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » .** (التوبة : ٧١)

ان ائتلاف القلوب والمشاعر ، واتحاد الغايات والمناهج ، من أوضح تعاليم الاسلام ، والزم صفات المسلمين المخلصين . ولا ريب أن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة الاسلامية ، ودوام دولتها ، ونجاح رسالتها . ولئن كانت كلمة التوحيد باب الاسلام ، فان توحيد الكلمة سر البقاء فيه ، والابقاء على رسالته(٢٤) .

وكان رسول الله ﷺ شديد التحذير من عواقب الفرقة والاعتزال ، وكان فى حله وترحاله يوصى بالتجمع والاتحاد . قال عليه الصلاة والسلام :

---

(٢٤) سيد عبد الحميد مرسى : **الدين المعاملة** ، مرجع سابق ، ص ٢٦

ـ «الشيطان يهم بالواحد والاثنين ، فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم» .
(رواه مالك)

ـ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .
(رواه البخارى ومسلم)

ـ «لا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض » .
(رواه الترمذى)

* * *

٦ ـ الصبر وحدة بنائية بديلة :

قال رسول الله ﷺ : « الصبر ضياء » . (رواه مسلم)

فاذا استحكمت الأزمات وتعقدت ، وترادفت الضوائق وطال ليلها ، فالصبر وحده هو الذى يشع للمسلم النور العاصم من التخبط ، والهداية الواقية من القنوط . والصبر فضيلة يحتاج اليها المسلم فى دينه ودنياه ، ولا بد أن يبنى عليه آماله وأعماله .. فيجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر وانتظار النتائج مهما بعدت ، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت ، بعقل متفتح وقلب لم تعلق به ريبة . وقد أكد الله سبحانه أن ابتلاء الناس لا محيص عنه ، حتى يأخذوا اهبتهم للنوازل المتوقعة ، فلا تذهلهم المفاجآت(٢٥) . قال تعالى : « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم** » . (محمد : ٣١)

وفى الحديث النبوى الشريف : « اذا احب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » . (رواه الترمذى)

والصبر انواع : صبر على الطاعة ، وصبر على المعصية ، وصبر على النوازل .. فأما الصبر على الطاعة فأساسه أن أركان الاسلام

---

(٢٥) **المرجع السابق** ، ص ١٨ ـ ١٩

تحتاج فى القيام بها والمداومة عليهـا الى تحمل ومعاناة . فالصـلاة ـ مثلا ـ فريضـة متكررة يقوم بها المسـلم فى مواعيد محددة ، ويقول الله تعالى فيها :

- « **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ..** » (طه : ١٣٢)
- « **واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين** » (البقرة : ٤٥)

والتواصى بالصبر قرين التواصى بالحق ، وقد اقسـم الله عز وجل على ان فلاح البشر منوط بهما : « **والعصر . ان الانسـان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » . (سورة العصر)

والصبر عن المعاصى هو عنصر المقاومة للمغريات التى تنبت فى طريق الناس وتغريهم باقتراف المـآثم المحظورة . قال ﷺ : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . (رواه مسلم)

والادبار عن الشهوات لا يتأتى الا لصبور ، والصبر هنا اثر اليقين الحاسم والاتجاه الحازم الى ما يرضى الله . قال تعالى : « **.. ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** » . (الأعراف : ١٢٦)

وهناك الصـبر على ما يصيب المؤمن فى نفسـه او ماله او اهله او مكانته ، وتلك كلها اعراض متوقعة هيهات ان تخلو الحياة منها . ولكن المسـلم اذا احتمى بالله ولجأ اليه صمد امام الأحداث ، ولن تفارق المؤمن رحمة الله ما دام قد تمسـك بدينه فى الأزمات ولا يتزعزع يقينه عند الشدائد . قال تعالى : « **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** » . (البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧)

* * *

الأســـرة

● تعريف الأسرة :

تشير كلمة « اسرة » من الناحية السوسيولوجيـة الى معيشة رجل مع امرأة ، على اسـاس الدخول فى علاقات جنسـية يقرها المجتمـع وما يترتب على ذلك من انجاب الأولاد ، وما يتبعه من حقوق وواجبات كرعاية الأطفال وتربيتهم(٢٦) .

وقد عرف « ميردوك »(٢٧) الأسرة كالآتى : « الأسرة جماعة اجتماعية يسمح فيها بالممارسـة الجنسية بين ذكر وانثى راشـدين ، مع شرعية انجاب الأطفال ، وهذه الجماعة مسـئولة أمام المجتمع عن تربية أطفالها ورعايتهم ، كما تعتبر وحدة اقتصادية من الناحية الاســتهلاكية على الأقل » .

ولكن الأشكال التاريخيـــة والمعاصرة للتنظيم الأسرى جعلت من المناسب أن يضـاف الى مصطلح « أسرة » صفة تحدد شكلها . فيطلق مصطلح « الأسرة الممتدة » (Extended Family) على تلك الأسرة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين من الذكور والاناث والأولاد المتزوجين وزوجاتهم وأولادهم وغيرهم من الأقارب المقيمين مع الأسرة كالعم أو العمة والابنة الأرملة ، الخ .. وهؤلاء جميعا يقيمون فى نفس المسكن ويشـاركون فى حياة اقتصادية واجتماعية واحدة تحت رئاسـة الأب الأكبر أو رئيس العائلة (٢٨) . وهذا النظام ظل سـائدا فى المجتمع

---

(٢٦) سـناء الخولى : **مرجع سـابق** ، ص ٢٠٢

(٢٧) G. Murdock; **Social Structure**. (New York : Macmillan, 1949).

(٢٨) محمـد عاطف غيث : **علم الاجتمـاع** ، مرجع سـابق ، ص ١٠ ـ ١٢

الريفى المصرى لسنوات طويلة ، حيث كانت الأسرة تتملك أرضا واحدة يعمل الجميع فيها ويعيشون تحت سقف واحد فى حياة اقتصادية مشتركة دون اية ملكية فردية لأحد من افراد الأسرة . وكان من عادات مثل هذه الأسر الممتدة عند تناول الغذاء خاصة طعام العشاء ـ باعتباره يمثل الوجبة الرئيسية ـ أن يجلس جميع رجال الأسرة والأولاد الذكور لتناول الطعام أولا ويخدمهم فتيات الأسرة ، ثم تتناول السيدات والفتيات والبنات الصغار سويا الطعام بعد أن ينتهى الرجال . وكان هذا الوضع سائدا فى بعض الأسر العريقة فى المدينة ، حيث كان الجميع يعيشون فى منزل واحد حياة مشتركة . أما كلمة « اسرة Family » فتشير الى الجماعة المكونة من الزوج والزوجة واولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معا فى مسكن واحد ، وهذا هو الوضع السائد حاليا فى المجتمعات المتحضرة .

ولقد تاثرت الأسرة بصورة عامة بالتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى مرت بها المجتمعات فى مختلف انحاء العالم ، فتغير بناؤها او انكمشت وظائفها . ولكن الأسرة بمعناها المحدد ، والتى اصطلح على تسميتها « الأسرة النواة Neuclear Family » ظلت مركز التناسل ومصدر الرعاية الأولية المباشرة لأفرادها .. فمع كل النتائج التى طرحها التغير ، وخاصة فى مجال الاتجاه نحو الفردية او العزلة القرابية ، الا انه فى كثير من انحاء العالم ـ حتى فى اكثر اجزائه تحضرا وتقدما ـ لا زال الفرد يمر خلال حياته بنمطين مختلفين من الأسرة النواة .. فهو يولد ويترعرع فى اسرة مكونة منه ومن اخوته ـ الذكور والاناث ـ ومن والديه ، وتسمى « اسرة التوجيه Family of Orientation » . وعندما يتزوج الفرد ويستقل عن اسرته الأصلية يكون لنفسه « اسرة نواة » اخرى تتكون منه ومن زوجته واطفاله ، وتسمى حينئذ « اسرة انجاب Family of Procreation » (٢٩) .

---

(٢٩) سناء الخولى : مرجع سابق ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤

وعلى الرغم من صغر حجم الأسرة فهى اقوى نظم المجتمع ٠٠ فهى النظام الذى عن طريقه نكتسب انسانيتنا ، كما أنه لا توجد طريقة اخرى لصياغة بنى الانسان سوى تربيتهم فى أسرة ٠ ومن هنا نجد أن كل شخص ينتمى بشكل ما الى أسرة واحدة على الأقل ، ولذلك تعتبر الأسرة المهد الحقيقى للطبيعة الانسانية ، هذا فضلا عن أن تجربة الحياة خلالها ضرورية لتحويل المولود الى مخلوق « انسانى » يعيش فى توافق وانسجام مع الآخرين وفقا للقيم والمعايير السائدة ٠٠ فالأسرة اذن موجودة عبر التاريخ ، ولكن فى أشكال مختلفة ، وهى أيضا ضرورة عالمية لأنها تقوم بانجاز عدد من الوظائف الأساسية للمحافظة على استمرار الحياة الاجتماعية ، مثل :

١ ـ ممارسة العلاقات الجنسية بين الزوجين فى اطار شرعى ٠

٢ ـ الانجاب الشرعى للأبناء ٠

٣ ـ رعاية الأبناء وتنشئتهم ٠

٤ ـ التعاون كوحدة اقتصادية ٠

* * *

● **الزواج والأسرة :**

هناك ارتباط بين مصطلحى « الزواج » و « الأسرة » ، حيث يستخدمان استخداما مترادفا ٠٠ ولكنهما فى الواقع يختلفان أحدهما عن الآخر وليسا شيئا واحدا ٠٠

« فالزواج Marriage » عبارة عن تزاوج منظم بين الرجال والنساء ، بينما يجمع معنى « الأسرة Family » بين الزواج والانجاب ، كما تشير الأسرة كذلك الى « المكانة Status » و « الأدوار Rolls » المكتسبة عن طريق الزواج والانجاب ٠ وهكذا نجد أنه من المألوف اعتبار الزواج شرطا أوليا لقيام الأسرة ، واعتباره نتاجا للتفاعل الزواجى ٠

وليس الزواج والتزاوج شيئا واحدا .. فالأول مفهوم سوسيولوجى ، اما الثانى فمفهوم بيولوجى . فظاهرة التزاوج معروفة عن انواع مختلفة من الحيوانات ، بينما الزواج مقصور على البشر فقط كما أنه نظام اجتماعى يتصف بقدر من الاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية . والزواج هو الوسيلة التى يعمد اليها المجتمع لتنظيم الأمور الجنسية وتحديد صور التزاوج الجنسى بين البالغين . والزواج نظام عام يفرضه المجتمع على غالبية افراده ، وهو النظام الأوفر جزاء بالنسبة للرجال والنساء خلال الجانب الأكبر من حياتهم .

وهناك معايير أخرى اجتماعية تفسر معنى الزواج نشير هنا الى بعضها(٣٠) :

١ ـ المعيار الاجتماعى التقليدى : وهو ينظر الى الزواج كظاهرة مقدسة ، خلقه الله تعالى وأكدته الشرائع السماويةكأساس للحياة الانسانية. وهذا يعنى أن الانسان ورغباته الشخصية تأتى فى المكانة التالية من حيث الأهمية بعد تحقيق متطلبات الأسرة وتنفيذ الأوامر الالهية .

٢ ـ المعيار الثانى اوسع نطاقا ، لأنه يؤكد ان معنى الزواج والأسرة يتركز اساسا حول الالتزامات الاجتماعية . وهو فى هذا يتفق مع المعيار السابق ، الا انه يختلف معه فى نقطة أساسية .. فبينما يركز المعيار الأول السلطة فى يد « الله » سبحانه ، فان المعيار الثانى يركزها فى يد « الرجل » . والقيمة الأولى فى معنى الزواج هى المحافظة على الاحترام والتقاليد الاجتماعية ، والامتثال لرغبات الأقارب والمجتمع المحلى والاحتفاظ بصورة لائقة فى المجتمع . ومن خلال هذا المعنى للزواج تكون لآراء الناس اهمية كبرى ، ولهذا يصبح الطلاق أو الحمل قبل الزواج وكل مظهر انحرافى آخر مرفوض تماما لأن المجتمع ـ متمثلا فى الأقارب والأصدقاء والمجتمع المحلى ـ يدين ذلك قولا وفعلا .

---

(٣٠) **المرجع السابق** ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

٣ ـ والمعيار الثالث يعبر عن أحدث معانى الزواج ، حين يؤكد ان الأسرة والعلاقة الزواجية ما جدت الا من أجل « الفرد » ، فالأمر هنا يتعلق بـ « الأنا » ، والزواج عملية تتعلق بالانسان وحده . فاذا أراد الفرد ان يتزوج من خارج عقيدته الدينية أو طبقته الاجتماعية فهذا شأنه وحده . وبهذا المعنى تكون السلطة فى يد الانسان الفرد وحده ، فكل فرد مسئول عن نجاحه أو فشله دون النظر الى بناء المجتمع المحلى أو ظروف المجتمع الذى يعيش فيه .

والأسرة هى تنظيم اجتماعى يقوم على الزواج وخاصة عقد الزواج ، بما يتضمنه من معرفة بالحقوق والواجبات ، والمسكن المشترك للزوجين . وعموما ، يمكن اعتبار نسق الأسرة جماعة قرابية بنائية صغيرة ، وظيفتها الأساسية الانجاب والتنشئة الاجتماعية لأطفالها ، والأسرة ـ مثل الزواج ـ تشتمل على عوامل عديدة مثل :

- النشوء والتكوين نتيجة الزواج .
- ارتباط الأفراد عن طريق الزواج أو الدم .
- وجود مسكن مشترك .
- وضوح نظام تحديد الحقوق والواجبات المتبادلة .
- الانجاب والتنشئة الاجتماعية كوظيفتين أساسيتين .

* * *

● **أشكال الزواج :**

هناك شبه اجماع بين الدارسين فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا على أن تاريخ الزواج الانسانى قد طرح أشكالا أساسية هى : الوحدانية ، وتعدد الزوجات ، وتعدد الأزواج ، والزواج الجماعى ، وسنناقشها بايجاز(٣١) :

---

(٣١) **المرجع السابق** ، ص ٢١٤ ـ ٢١٦

١ ـ وحدانية الزواج (Monogamy) :

تعتبر وحدانية الزواج من الأشكال المفضلة للزواج فى كثير من المجتمعات ، ومعناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة . وهذا النوع من الزواج منتشر على أوسع نطاق عالميا ، بل ان هناك مجتمعات ـ كالمجتمع الغربى ـ ترفض كل اشكال الزواج عدا الوحدانية . ولكن وحدانية الزواج لا تعنى أن الزواج لا يحدث سوى مرة واحدة فى العمر فقط ، بل يسمح بالزواج مرة أخرى فى حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين .

٢ ـ تعدد الزواج :

وهو الشكل الذى يعتبر على عكس وحدانية الزواج ، وهناك أنواع عديدة منه .. مثل الزواج من داخل القبيلة أو العشيرة ويسمى « الزواج الداخلى Endogamy » ، وهو على خلاف « الزواج الخارجى Exogamy » الذى لا يسمح فيه بالزواج الداخلى بين أعضاء القبيلة لانتمائهم الى « طوطم Totem »واحد فيعتبرون اخوة ويحرم زواجهم ، وبالتالى لا بد ان يكون الزواج من خارج القبيلة . أما الزواج التعددى فيشير الى الزواج بأكثر من فرد ، وهو ينقسم الى ثلاثة أنواع : زواج رجل واحد من عدة نساء ويسمى « تعدد الزوجات Polygamy » وزواج امرأة واحدة من عدة رجال ويسمى«تعدد الأزواج Polyandry » وزواج عدة نساء من عدة رجال ويسمى « الزواج الجماعى Group Marriage » .

(أ) تعدد الزوجات :

هو أكثر أشكال تعدد الزواج انتشارا ، وخاصة فى المجتمعات البدائية والنامية ، ويدل فى ناحية منه على المكانة العالية والتميز والثراء ، وفى بعض الحالات لاشباع الحاجة أو الرغبة فى الانجاب وخاصة أنجاب الذكور . وعادة ما يراعى فى الأسرة التى تتعدد فيها الزوجات عدة اعتبارات مثل :

- أن يكون للزوجات حقوق متساوية ٠
- أن تقيم كل زوجة فى مكان مستقل ٠
- أن يكون للزوجة الأولى عادة مميزات ونفوذ على الزوجات الأخريات ٠

(ب) تعـدد الأزواج :

وهو شكل نادر الحدوث ومحدود الانتشـار ، ويكون الأزواج فى معظم الحالات من الأشـقاء ، فهم اخوة وينتمون الى نفس الجيل ، مما يقلل الى حـد كبير من درجة الغيرة بين هؤلاء الأشـقاء ٠ وفى بعض قبائل الهنـد عندما تتزوج امرأة من رجل فانها تصبح زوجة لاخوته فى نفس الوقت ٠ ويرجع نظام تعدد الأزواج فى الواقع الى ظروف الفقر الشـديد ، مما يجعل من الصعب على كل فرد أن يتزوج امرأة بمفرده ، وبالتالى يشـترك الاخوة فى الزواج من امرأة بمفردها ٠

(جـ) الزواج الجمـاعى :

يعتقد أن هذا النوع من الزواج كان سـائدا فى المجتمعات البدائية فى العصور القديمة ، ولكن لم يتأكد هذا الرأى بصورة علمية دقيقة ٠ وهو يعنى زواج عدد محدد من الذكور من عدد مسـاو لهم من الاناث ٠ ولكن هـذا الشكل من الزواج نادر الحدوث فى الوقت الحالى الا فى حالات فردية تعتبر شاذة الى حد كبير٠وقد قام «لارى» و «كونستنتين»(٣٢) بدراسـة عن الزواج الجماعى فى أمريكا ، حيث ركزا على عشر زيجات معظمها لا يقـل عن أربعة أشـخاص وتبين من نتائج الدراسـة أن آلية معيشـة هـذه الزيجات معقـدة للغاية من حيث الأمور المـالية واتخاذ القرارات والانجاب والصراعات الشخصية ٠

* * *

---

(٣٢) L. Larry, and J. Constantine; «The Group Marriage», in M. Gordon; **The Nuclear Family in Crisis: The Search for an Alternative.** (N. Y. : Harper, 1972) , pp. 204 - 222.

● **وظائف الأسرة :**

ان معظم النقد الذى يوجه الآن الى الأسرة الحضرية المعاصرة هو فقدها الكثير من وظائفها التقليدية ، واذا ما تتبعنا تطور الأسرة نجد أنها كانت طوال العصور الماضية هى نواة النظام الاجتماعى وقلبه النابض . وقد صاحب التغيرات التى تعرضت لها المجتمعات ـ مثل زيادة التخصص وتعقد المجتمع الحديث ـ تغيرات فى الوظائف التى كانت الأسرة تقوم بها من قبل ، الأمر الذى أدى الى انتقال عدد كبير منها الى مؤسسات أو تنظيمات أخرى خارج نطاق الأسرة .

وقد أكد « أوجبرن »(٣٣) أن مأساة الأسرة الحديثة تكمن فى فقدانها لأغلب الوظائف التى كانت تقوم بها وهى :

١ ـ **الوظيفة الاقتصادية :** كانت الأسرة فى الماضى وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيا ، حيث كانت تقوم باستهلاك ما تنتجه ، وبالتالى لم تكن هناك حاجة للبنوك أو المتاجر بالشكل الذى نراه الآن .. ومن واقع خبرة الكاتب أن الأسرة فى الريف كانت تزرع وتستهلك معظم المحصول سواء فى مواجهة احتياجاتها الغذائية ، أو للمقايضة به فى المتاجر للحصول على ما يلزمها ، ثم تبيع الفائض للحصول على باقى لوازمها . وقد أصبح من المشاهد الآن فى الريف المصرى بعد أن غزته التكنولوجيا والمدنية الحديثة ، أن تنشأ مخابز فى القرى لسد حاجة سكانها من الخبز ، وهو شىء مستغرب فى الريف الذى يزرع القمح والذرة .

٢ ـ **وظيفة منح المكانة :** كان أعضاء الأسرة يستمدون مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم ، كما كان اسم الأسرة يحظى بأهمية وقيمة كبرى . بل ان الأسر العريقة كانت حريصة على أن يتم زواج أبنائها وبناتها من داخل الأسرة أو من أسر لا تقل عنها مكانة .

---

(٣٣) W. Ogburn ; Technology and the Changing Family. (Boston : Houghton - Mifflin, 1955).

٣ ـ **الوظيفة التعليمية** : كانت الأسرة تقوم بتعليم أفرادها ، ولم يكن ذلك قاصرا على التعليم التقليـــدى بالمدارس ، وانما كانت تهتم بتعليم أبنائها الحرف المختلفة والزراعة والتدبير المنزلى وما أشـــبه . وكانت الأسرة فى الريف المصرى تهتم بتحفيظ القرآن لأبنائها فى « الكتاتيب » أو عن طريق معلم دينى خاص بالمنزل . وبالنسبة للزراعة والمهن الزراعية فكانت الأسرة حريصـة على تعليم أبنائها فنون الزراعة فى سـن مبكرة حيث يســاعد الأولاد آباءهم فى الزراعة ، بل ان المدارس الموجودة فى القرية كانت تغلق أبوابها فى مواسـم الحصـاد حتى يشـترك الأبنـاء مع آبائهم فى جنى المحصـــول . وكان تعليم الشـئون المنزلية أساسـيا للبنات حتى تصبح كل واحـدة قادرة على ادارة شـــئون المنزل مع أسرتها وعندما تســـتقل فى حياتها الزوجيـة .

٤ ـ **وظيفة الحماية والرعاية** : كانت الأسرة مسـئولة عن حمـاية أعضائها .. فالأب يمنح حمايته ورعايته للأسرة فى النواحى الجسـمية والصحية والوقائية والاقتصادية والنفسـية والاجتماعية ، وكذلك يفعل الأبناء لآبائهم عندما تتقدم بهم السـن . ولقد أصبحنا نجـد أعضـاء الأسرة الواحدة أما مسـتقلين فى حياتهم الخاصـة أو لا يعلمون شـيئا عما يحدث داخل الأسرة وان كانوا يعيشـون فى مكان واحـد ، حيث أن كلا منهم لا يعنيه سـوى شـئونه الخاصـة .

٥ ـ **الوظائف الترفيهية** : كانت الوظيفة الترفيهية محصـورة فى الأسرة أو بين عدة أسر مترابطة ، وليس فى مراكز خارجيـة مثل المدرسة أو المجتمع المحلى أو وســائل الترفيه المختلفة . وكان هـذا الترفيه الأسرى يجمع شـمل أعضـاء الأسرة وينمى العلاقات الاجتماعية فيما بينهم ويحميهم من الاختلاط برفاق السـوء خارج نطاق الأسرة .

وعموما ، تنحصر وظائف الأسرة الاجتماعية فى الوقت الحاضر فى الانجاب ، والاعاشـة ، والتنشئة الاجتماعية ، ومنح المكانة ، بالاضافة الى وظيفة جديدة لم يهتم بها التحليل السوسـيولوجى من قبل وهى « الوظيفة العاطفيـــة Affectional Function »، ونعنى بها التفاعـل العميق

بين الزوجين وبين الآباء والأبناء فى منزل مستقل ، مما يخلق وحدة اولية صغيرة تكون المصدر الرئيسى للدفء والاشباع العاطفى لجميع اعضاء الأسرة . وقد أصبحت هذه الوظيفة من الملامح المميزة للأسرة الحضرية الحديثة ، بعكس الحال فى الأسرة الممتدة فى المجتمعات الريفية ، حيث يتم التفاعل الأولى بين حلقة كبيرة من الأقارب الذين يعيشون متجاورين(٣٤) .

* * *

الأسرة فى الاسلام

تحظى الأسرة فى التشريع الاسلامى باهتمام كبير ، خاصة وأنها تعتبر النواة التى تنبثق عنها جميع العلاقات البشرية . ويعطى الاسلام للأسرة من العناية والرعاية والحرص على الحماية من التفكك والانحلال ، ما لم تعطه لها شريعة أخرى ، مؤكدا بذلك على تقديره لمكانتها ودورها الفعال فى بناء المجتمع السليم(٣٥) .

وقد جعل الاسلام من الزواج أساسا تتحدد من خلاله علاقة الرجل بالمرأة ، وأرسى به الخطوة الأولى فى البناء الأسرى . ولم يترك الاسلام نقطة البداية ـ فى هذا البناء ـ للناس ليقيموا قواعدها ويضعوا نظامها وأحكامها ، بل تولاها المشرع الأعظم ـ سبحانه ـ بفضله ، فوضع لأطرافها ، أى الزوجين ، دستورا للحياة الزوجية وطالبهما بالسير وفقا لأحكامه ونظمه وقواعده .. وتفيد نصوص القرآن الكريم أن الزوجية هى طبيعة المخلوقات فى الكون ، وكان مبدأ الكون أن خلق الله آدم ثم خلق منه حواء ليبدأ الإزدواج مع بدء الكون ، قال تعالى : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..** » . (النساء : ١)

---

(٣٤) سناء الخولى ، **مرجع سابق** ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠

(٣٥) زينب رضوان ، **النظرية الاجتماعية فى الفكر الاسلامى** . القاهر : دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٥

واهداف الزواج تتمشى مع هذا ٠٠ فهى تكمل فى الرجل حاجته الى المراة وفى المراة حاجتها الى الرجل ، لتتم الزوجية ٠ قال تعالى : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ٠٠ »** ٠ (الروم : ٢١)

وتوضح الآية الكريمة أن كلا من الزوجين يجد السكن والطمأنينة والاستقرار فى الآخر ، وأن ذلك يؤدى الى المودة والرحمة ، أى الحب والتسامح مجتمعين(٣٦) ٠

* * *

ولقد شرع الاسلام الزواج وجعله أساسا للنظام الأسرى فى المجتمع ، وحرص على تأكيد القوامة فيه ٠٠ فأعطى للرجل الحق فى القيام على الأسرة ورعاية شئونها ، وذلك لسببين : أحدهما أن الرجل هو المكلف بالانفاق على الأسرة ، ولا يستقيم مع العدالة فى شىء أن يكلف فرد **بالانفاق** على هيئة ما بدون أن يكون له حق الاشراف على شئونها ٠ والسبب الثانى أن المراة مرهفة العاطفة قوية الانفعال ، وأن ناحية الوجدان لديها تسيطر على مختلف نواحى حياتها النفسية(٣٧) ٠

كما شرع الاسلام الزواج لتحقيق هدف أسمى وهو حب البقاء ٠٠ فالانسان يدرك أنه مهما طال به العمر فان مصيره الى الموت ، ولذلك يسعى جاهدا الى استمرار بقائه عن طريق الأولاد والأحفاد الذين يعتبرون امتدادا له ٠٠ ومن الوظائف الأخرى التى تضطلع بها الأسرة فى المجتمع هى الانجاب لتزويد المجتمع بالأعضاء الجدد ٠ فالأولاد متعة صورها القرآن الكريم أدق تصوير حين قال :

● **« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ٠٠ »** ٠

(الكهف : ٤٦)

---

(٣٦) عبد الله الخريجى ، **نظم المجتمع الاسلامى مع التطبيق على المجتمع العربى السعودى** ٠ جدة : **رامتان** ، ١٩٨٣ ، ص ٥٠ ـ ٥١

(٣٧) على عبد الواحد وافى ، **حقوق الانسان فى الاسلام** (ط ٤) القاهرة : **دار نهضة مصر** ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٣ ٠

● **« ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما ».** (الفرقان : ٧٤)

وقد اعتبر الرسول الكريم ﷺ الأولاد الصالحين من خير ما يخلفه الانسان ، حين قال : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : علم ينتفع به ، أو صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له » .
(رواه مسلم)

كذلك تحقق الأسرة وظيفة الأمن والاستقرار النفسى ، ولهذا ينظر الاسلام اليها على أنها أصل الحياة الاجتماعية الانسانية . ولكى تتحقق رؤى الاسلام للأسرة ، وضع لها دستورها الذى تسير عليه .. فبدأ أولا بأن حث الناس على الزواج بهدف الاحصان ، ونهى عن زواج المتعة لأنه لا يستهدف الا اشباع الشهوة ولا يكفل الاستقرار او الاستمرار . قال تعالى : **« والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم ، كتاب الله عليكم ، واحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين .. ».** (النساء : ٢٤)

ولقد ارتبطت وظيفة تحقيق الأمن والاستقرار للأسرة بوظيفة الحفاظ على النوع واستمراره وتزويد المجتمع بالأعضاء الجدد الذين يجددون شبابه وينعشون قواه الانتاجية والفكرية .. ومن هنا يتضح مثلا أن سكون الزوج لزوجته والزوجة لزوجها أن يستمر النوع البشرى من خلال كيان عائلى منظم ومستقر له تبعاته وحقوقه . ومعنى السكن هنا أن يطمئن كل منهما الى حياته بسبب الآخر ، بحيث تكون الحياة بعيدة عن القلق والهموم والمخاوف . هذا الى جانب أن يكون كل من الزوجين سترا للآخر يمنعه من أن يزل فتظهر زلته ، ويقيه من الجنوح والاغراق(٣٨) . قال تعالى :

● **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. ».** (الروم : ٢١)

---

(٣٨) زينب رضوان ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

● « ٠٠ هن لباس لـكم وانتم لباس لهن ٠٠ » ٠

(البقرة : ١٨٧)

والمغزى أن للزواج فى الاسلام عدة أهداف ، ولكن يأتى على رأس هـذه الأهداف ـ أو الوظائف ـ أمران رئيسيان هما الاستقرار النفسى والمـادى ، والتمكن من التغلب على نزوات الاغراق ودوافع الجنوح عن الطريق المستقيم فى سبيل تحقيق الانسانية ٠

* * *

● **الاختيـار فى الزواج :**

قصد الاسلام من الزواج أن يحيل العقد بين الاثنين الى هـذه الغاية من الاستقرار والمودة والرحمة ، ولهذا طلب مراعاة خطوات تيسر أمر هـذا العقد ، نظرا لأن اختيار العشير أعظم الأمور خطرا فى حياة الرجل والمرأة ، وهو عقد الحياة الذى يترتب عليه الاستقرار والتوفيق أو الاضطراب والشـقاء ٠٠ ولقد سن الاسلام تشريعات محكمة تمنع الشطط فى الاختيار ، وتمنع أن يكون هـذا الاختيار لأسباب وقتية سريعة الزوال ، ومع زوالها يكون انحلال الحياة الزوجية(٣٩) ٠٠ فعلى الزوجة أن تدرك أن البواعث الحسية سريعة الزوال ، وألا تختار زوجا لشكله أو مركزه من غير ملاحظة الجانب المعنوى من حسن الطباع وقوة الأخلاق لأن ذلك يعرض حياتها للاضطراب الذى يترتب عليـه انحلال الحيـاة الزوجية ٠ وكذلك الأمر بالنسـبة للزوج ، فعليه الا يختار زوجته ملاحظا فيها الجانب الحسى من غير ملاحظة الجانب المعنوى ، فهذا أمر يهدد الحياة الزوجية لأن الاعجاب الحسى غير مستمر وعرضة للتغير أو الزوال ٠ وفى هـذا الصدد يخص الرسول عليه الصلاة والسلام كل من يقدم على الزواج بقوله : « انظر اليها ، فانه احرى أن يؤدم بينكما » (أى يدوم الوفاق بينكما) ٠

(رواه النسائى والترمذى)

---

(٣٩) عبد الله الخريجى ، علم الاجتماع العائلى مع دراسة العائلة فى الاسلام ٠ جدة : دار الشروق ، ١٩٨١ ، ص ٣٨٢ ٠

وفى هـذا الحديث دعوة صريحة لكل شاب أن ينظر الفتاة التى يقبل على خطبتها قبل الزواج حتى يعرف جمالها وأسلوب سلوكها . وهـذه الدقة فى النظر ليست قاصرة على الشاب دون الفتاة ، وانما هى متضمنة أيضا لحث الفتاة على التروى والتفحص لشريك حياتها حتى تظفر بالزوج المناسب .

وقد نبه الرسول الكريم أيضا الى أن من العوامل المعينة على تحقيق المودة بين الزوجين ، هى أن يكون التفضيل عند الاختيار لذات الدين على ذات الجمال أو النسب أو المـال . فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمـالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » . (متفق عليه)

ويلزم لصحة الزواج فى الاسلام توافر أربعة شروط أساسية :

أولها : الولى ، وهو أبو الزوجة أو الوصى أو الأقرب من عصبتها أو ذو الرأى والسلطان من أهلها .

ثانيها : الشاهدان ، وهما رجلان ذوا عدل من المسلمين .

ثالثها : صيغة العقد ، وهى قول الزوج أو وكيله فى العقد : « زوجنى ابنتك أو وصيتك فلانة » ، وقول الولى : « زوجتك ابنتى أو وليتى فلانة » ، وقول الزوج : « قبلت زواجها لنفسى » .

ورابعها : المهر أو الصداق ، وهو ما تعطاه المرأة حلية الاستمتاع بها.

وفى هـذه الشروط وردت نصـوص فى القرآن الكريم والحـديث النبوى الشريف ..

يقول الله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة .. » .
(النساء : ٤)

وعن رسول الله ﷺ : « خيرهن أيسرهن صداقا » .
(رواه الطبرانى)

ـ « لا يكون نكاح الا بولى وشاهدين ومهر ما كان قل أو كثر » .
(رواه الطبرانى)

* * *

● **حقوق الزوج والزوجة :**

لقد تناولت الشريعة الاسلامية العلاقة الزوجية منذ نشأتها الاولى ، فحددت التبعات والحقوق فيها ، والتى تستهدف أساسا صون الحياة الزوجية بما يكفل لها الاستقرار والاستمرار . وأول حق اثبتته للفتاة فى هذا الصدد أن تكون موافقتها على الزواج شرط صحة عقده . ثم أوجبت بعد هذا على الرجل أن للمرأة التى يريد الاقتران بها قدر من المال لم تحدده الشريعة بل تركته لكل على قدر استطاعته ، وجعلته رمزا للرغبة فى الاقتران واشعارا لها بأنها موضع بره وعطفه ، **مما يساعد** على تقوية عرى المحبة بينهما . ولعل اختصاص الرجل بالتبعة فى بناء الحياة الأسرية تتمشى وطبيعته التى تمكنه من السعى للرزق وكسب العيش للوفاء بمتطلبات المعيشة الزوجية ، ولهذا كانت كل التكاليف المالية ـ التى تقتضيها الحياة الزوجية ـ على الرجل دون المرأة(٤٠) ، ومن ثم كانت القوامة له عليها عملا بنص القرآن الكريم : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ..** » .
(النساء : ٣٤)

واذا كان القرآن الكريم يحدد حقوقا للزوجة على زوجها ، فانه **لم** يدع الزوج دون تحديد لحقوقه على زوجته .. ومن أول هذه **الحقوق** حق طاعة الزوجة لزوجها بما لا يتعارض مع طاعة الله ، **ولا ينتقص** من حسن المعاشرة بينهما . ويتمشى هذا الحق مع حق القوامة التى أوجبها الله تعالى له . وليست هذه القوامة سلطة يستبد بها الرجل .. فالغاية من الزواج الاطمئنان النفسى وتأكيد المودة والتعاطف بين **الزوجين** .

---

(٤٠) زينب رضوان ، **مرجع سابق** ، ص ١٥١ .

ولا تتحقق هـذه الغاية اذا قصد الاسلام من قوامة الرجل على المرأة أن يكون سيدا وهى مسودة ، لأن هذا لا يتفق مع النص القرآنى الذى جعل من الرجل والمرأة شطرين لذات واحدة ، قال تعالى : « **هو الذى خلقكم من نفس واحـدة وجعل منها زوجها ليسـكن اليها** ·· » ·

(الأعراف : ١٨٩)

* * *

● **حقوق الزوجين فى القرآن والسنة :**

أولا ـ فى القرآن الكريم :

● « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم** ·· » · (النساء : ٣٤)

● « ·· **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم** » · (البقرة : ٢٢٨)

● « ·· **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ·· »

(النساء : ٣٢)

● « ·· **ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن** ·· »

(الممتحنة : ١٠)

● « ·· **فامسـاك بمعروف او تسريح باحسـان** ·· » ·

(البقرة : ٢٢٩)

● « ·· **ومتعوهن على الموسـع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين** » · (البقرة : ٢٣٦)

ثانيا ـ من الحديث النبوى الشريف :

ـ « حق الزوج على المرأة أن لا تهجر فراشه ، وأن تبر قسمه ، وأن تطيع أمره ، وأن لا تخرج الا باذنه ، وأن لا تدخل عليه من يكره » ·

(رواه الطبرانى)

ـ « اذا باتت المراة هاجرة فراش زوجهـا لعنتها الملائكة حتى تصبح » . (متفق عليه)

ـ « لو كنت آمرا احدا ان يسجد لأحد لأمرت المراة ان تسجد لزوجهـا » . (رواه الترمذى)

ـ « لا يحل لامراة أن تصوم وزوجها شاهد (اى حاضر) الا باذنه ، ولا تأذن فى بيته الا باذنه » . (متفق عليه)

ـ « أيما امراة ماتت ، وزوجها عنها راض ، دخلت الجنة » . (رواه الترمذى)

ـ « النساء شـقائق الرجال » . (رواه ابو داوود واحمد)

ـ « الا واستوصوا بالنسـاء خيرا ، فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شـيئا غير ذلك (اى غير الاستمتاع وحفظ الزوج فى نفسها وماله) الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سـبيلا ، الا ان لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشـكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » . (رواه الترمذى)

* * *